# لمحات من تاريخ الدولة العباسية

إعداد

صلاح محمد عبد الحميد

مؤسسة دار الفرسان

للنشر والتوزيع

51 ش إبراهيم خليل – المطرية

ت : 22511110 -0129871237

اسم الكتاب :لمحات من تاريخ
الدولة العباسية
المؤلـــف : صلاح محمد عبد الحميد
الناشـــر : مؤسسة دار الفرسان
تصميم الغلاف: فرى برنت- 0104470645
رقم الإيداع : 8961
طبعة أولى : 2017

## فهرسة أثناء النشر

عبد الحميد، صلاح محمد
لمحات من تاريخ الدولة العباسية / صلاح محمد عبد الحميد – القاهرة.-
ط1 . مؤسسة دار الفرسان للنشر والتوزيع
160ص ؛ 24 سم
تدمك :9-86-6169-977-978
1. الدولة العباسية ( 750 – 1258م )
2. العالم العربى – تاريخ – العصر العباسى
أ. العنوان 953.04

بسم الله الرحمن الرحيم

" فَتَعَالَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا "

صدق الله العظيم
طه ١١٤

# مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة العباسية أو الخلافة العباسية أو العباسيون هو الاسم الذي يُطلق على ثالث خلافة إسلامية في التاريخ، وثاني السلالات الحاكمة الإسلامية. استطاع العباسيون أن يزيحوا بني أمية من دربهم ويستفردوا بالخلافة، وقد قضوا على تلك السلالة الحاكمة وطاردوا أبناءها حتى قضوا على أغلبهم ولم ينج منهم إلا من لجأ إلى الأندلس، وكان من ضمنهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، فاستولى على شبه الجزيرة الأيبيرية، وبقيت في عقبه لسنة ١٠٢٩ م.

انتهى الحكم العباسي في بغداد سنة ١٢٥٨ م عندما أقدم هولاكو خان التتري على نهب وحرق المدينة وقتل أغلب سكانها بما فيهم الخليفة وأبنائه. انتقل من بقي على قيد الحياة من بني العباس إلى القاهرة بعد تدمير بغداد، حيث أقاموا الخلافة مجددًا في سنة ١٢٦١ م، وبحلول هذا الوقت كان الخليفة قد أصبح مجرد رمز لوحدة الدولة الإسلامية دينيًا، أما في الواقع فإن سلاطين المماليك المصريين كانوا هم الحكّام الفعليين للدولة. استمرت الخلافة العباسية قائمة حتى سنة ١٥١٩ م، عندما اجتاحت الجيوش العثمانية بلاد الشام ومصر وفتحت مدنها وقلاعها، فتنازل آخر الخلفاء عن لقبه لسلطان آل عثمان، سليم الأول، فأصبح العثمانيون خلفاء المسلمين، ونقلوا مركز العاصمة من القاهرة إلى القسطنطينية.

# من هو العباس بن عبد المطلب ؟

العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي أو عباس بن عبد المطلب يُكنى بأبي الفضل، صحابي من صحابة رسول الإسلام محمد بن عبد الله، وهو ثاني من أسلم من أعمامه العشرة إذ لم يسلم منهم سواه وحمزة، كما أنه عديله فزوجة النبي محمد ميمونة بنت الحارث أخت زوجته لبابة الكبرى بنت الحارث. أمّه هي أم ضرار نتيلة بنت جناب النمرية . ولد في مكة المكرمة قبل عام الفيل بثلاث سنين ٥٦ ق.هـ.

كانت له عمارةُ البيت الحرام والسّقاية في الجاهلية. شهد قبل أن يسلم مع رسول الإسلام بيعة العقبة، ليشدد له العقد. شَهِد غزوة بدر مع قبيلة قريش مُكرهاً فأُسر ففدا نفسه ثمّ رجع إلى مكة. قيل أنه أسلم قبل عام الفتح بقليل، وقيل أنه أسلم وبقي في مكة.

كان ممن ثبت في غزوة حنين مع النبي. كان الرسول محمد يعظمه ويكرمه بعد إسلامه وقال فيه: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اتَّخَذَنِي خَلِيلا، كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلا، وَمَنْزِلِي وَمَنْزِلُ إِبْرَاهِيمَ فِي الْجَنَّةِ تُجَاهَيْنِ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُؤْمِنٌ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ". عباس وآل العباس من أهل بيت محمد الذين حرمت عليهم الصدقة. توفي في خلافة عثمان بن عفان في المدينة المنورة سنة ٣٢ هـ وعمره ٨٨ عاماً ودفن في بقيع الغرقد.

**نسبه**

**هو العباس بن عبد المطلب واسمه شيبة"بن هاشم "واسمه عمروبن عبد مناف واسمه المغيرة بن قصي واسمه**

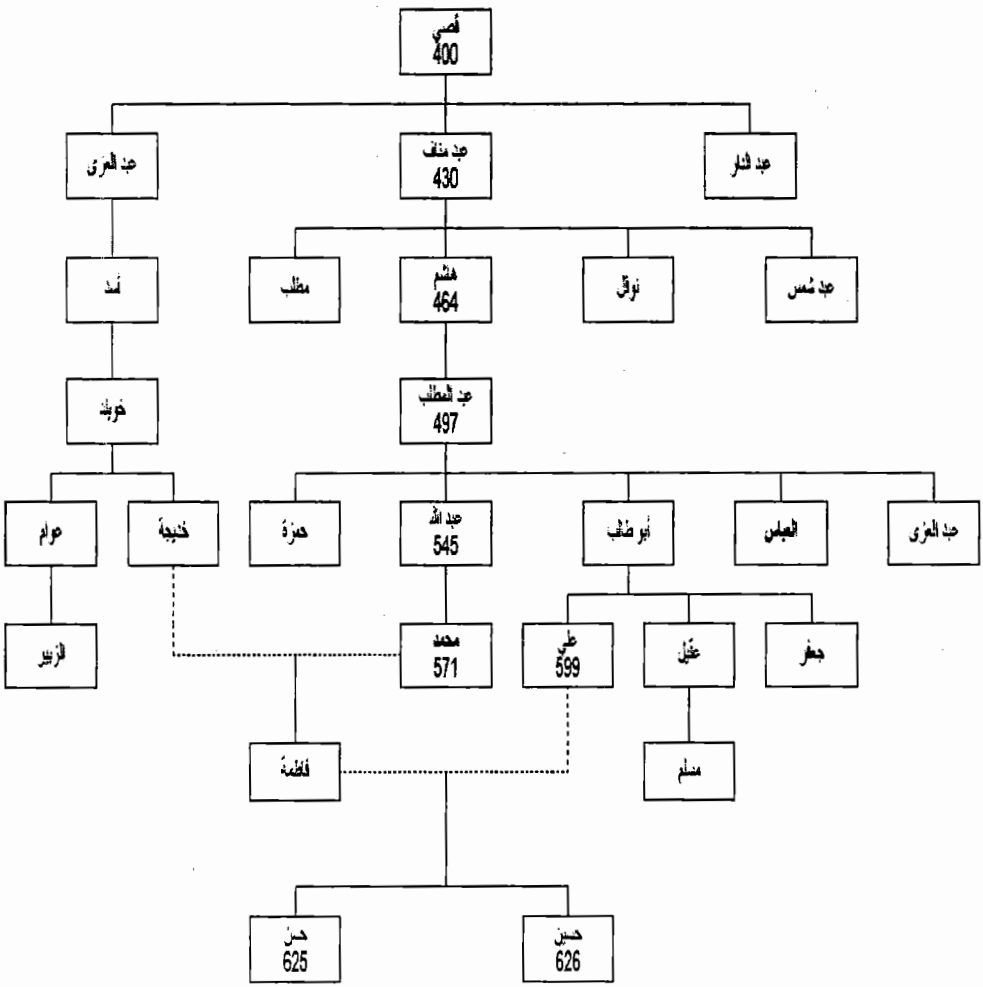

**أمه :**

نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عبد مناف بن عمرو بن عامر بن زيد بن عبد مناة بن عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معدبن عدنان

## حياته قبل الاسلام

ولد العباس في مكة قبل عام الفيل بثلاث سنين ٥٦ ق.هـ. أي أنه أسن من الرسول بثلاثة سنين "عَنْ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: قِيلَ لِلْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنْتَ أَكْبَرُ، أَمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقَالَ: هُوَ أَكْبَرُ مِنِّي وَأَنَا وُلِدْتُ قَبْلَهُ" ضاع وهو صغير، فنذرت أمه نتيلة بنت جناب إن وجدته أن تكسو البيت الحرير والديباج وأصناف الكسوة، فوجدته ووفت بنذرها فكانت أوّل من فعل هذا .

**السقاية**

كان العباس في الجاهلية رئيساً وسيداً في قريش وله عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية "قال ابن الأثير في أسد الغابة: وأما عمارة المسجد الحرام فإنه كان لا يدع أحدًا يسب في المسجد الحرام، ولا يقول فيه هجراً لا يستطيعون لذلك امتناعًا، لأن ملأ قريش كانوا قد اجتمعوا وتعاقدوا عَلَى ذلك، فكانوا له أعوانًا عليه". تولى عبد المطلب بن هاشم السقاية بعد أن حفر زمزم، ثم انتقلت بعده إلى ولده أبو طالب، أملقأبو طالب بعض

السنين، فاستدان من أخيه العباس عشرة آلاف درهم إلى الموسم التالي، فأنفقها أبو طالب على الحجيج ذلك العام فيما يتعلق بالسقاية، وفي العام الذي يليه لم يكن مع أبي طالب شيء، فقال لأخيه العباس: "أسلفني أربعة عشر ألفاً أيضا إلى العام المقبل لأعطيك جميع مالك، فقال له العباس: بشرط إن لم تعطني تترك السقاية لأكفلها؟ فقال نعم"، فلما أتى العام التالي لم يكن مع أبي طالب شيء ليعطيه لأخيه العباس فترك له السقاية. ثم انتقلت من بعده لولده عبد الله بن عباس، واستمر ذلك في بني العباس إلى زمن السفاح، ثم ترك بنو العباس ذلك بعد توليهم الخلافة .وانتقلت بعد ذلك إلى آل الزبير الذي كانت تعهد اليهم من قبل العباسيين.

## آية نزلت فيه

نزلت فيه آية ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ ، وروى ابن كثير عن علي بن أبي طلحة أنّ ابن عباس قال في تفسيرها :"نزلت في العباس بن عبد المطلب حين أُسِر يوم بدر قال: "لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج ونفك العاني"، قال الله : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ﴾ إلى قوله :﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ يعني أن ذلك كان في الشرك، ولا أقبل ما كان في الشرك".

## بيعة العقبة وغزوة بدر

شهد عباس بيعة العقبة مع ابن أخيه رسول الإسلام محمد، عندما بايعه الأنصار، ليشدد له العقد، ولم يكن مسلماً بعد .

شهد العباس الغزوة كبقية بني هاشم كرهاً مع قريش، وقد كان الرسول محمد قد أمر صحابته أن لا يقتلوا من يلقون من بني هاشم لأنهم أخرجوا مُكرهين، فعن ابن عباس:

" أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ يَوْمَئِذٍ: إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ رِجَالًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهًا، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ أَسَدٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَقْتُلْهُ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا. "

فأسر العباس بن عبد المطلب وحليفه وابن أخيه عقيل بن أبي طالب، والذي أسرهم هو عبيد بن أوس الأنصاري فسماه النبي محمد مُقَرِّن فيقُولُ:

" لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ أَسَرْتُ الْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَحَلِيفًا لِلْعَبَّاسِ فِهْرِيًا، فَقَرَنْتُ الْعَبَّاسَ، وَعَقِيلا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَمَّانِي مُقَرِّنًا وَقَالَ: "أَعَانَكَ عَلَيْهِمَا مَلَكٌ كَرِيمٌ". "

رواه ابن سعد في الطبقات الكبير عن محمود بن لبيد الأشهلي عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري

وقال أبو السير أيضاً :"قال: نظرت إلى العباس يوم بدر وهو واقف كأنه صنم وعيناه تذرفان فقلت جزاك الله من ذي رحم شرا أتقاتل ابن أخيك

مع عدوه، قال ما فعل أقتل، قلت الله أعز له وأنصر من ذلك، قال ما تريد إلى، قلت الأسر فإن رسول الله ﷺ نهى عن قتلك، قال ليست بأول صلته، فأسرته، ثم جئت به إلى رسول الله ﷺ "شُد وثاقه بعد أسره، فسهر عمه النبي تلك الليلة، فقال له بعض أصحابه: "ما يسهرك يا نبي اللّه"؟ فقال: "أسهر لأنين العباس"، فقام رجل وأرخى وثاقه، فقال الرَسُول: "مالي لا أسمع أنين العباس"؟، فقال الرجل: أنا أرخيت من وثاقه فقال محمد الرَسُول: "فافعل ذلك بالأسرى كلهم".

طلب الرسول من عباس-وهو في الأسر- أن يفدي نفسه وعقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفه عتبة بن عمرو فأخبره أنه مسلم وأُخرج مستكرهاً، فقال له: "اللّهُ أَعْلَمُ بِإِسْلامِكَ، إِنْ يَكُ مَا تَذْكُرُ حَقًا فَاللّهُ يُجْزِيكَ بِهِ، فَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا، فَافْدِ نَفْسَكَ" وكان محمد قد أخذ منه عشرين أوقية من ذهب، وطلب العباس أن يحسبها من فداه، فقال له: "لا، ذَاكَ شَيْءٌ أَعْطَانَاهُ اللّهُ مِنْكَ"، فقال العباس لمحمد: "فإنّه ليسَ لي مَال"، قَالَ الرسول: "فَأَيْنَ الْمَالُ الّذِي وَضَعْتَ بِمكّةَ حِينَ خَرَجْتَ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ لَيْسَ مَعَكُمَا أَحَدٌ، ثُمَّ قُلْتَ لَهَا: إِنْ أُصِبْتُ فِي سَفَرِي هَذَا فَلِلْفَضْلِ كَذَا وَكَذَا، وَلِعَبْدِ اللّهِ كَذَا وَكَذَا"، فقال العباس: والذي بعثك بالحق ما علم بهذا أحدٌ غيري وغيرها، وإني لأعلم أنّكَ رَسُولُ اللّه، ففدَى العبّاس نفسه، وابن أخيه، وحليفه.

فأنزلت آية ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ وكان العباس يقول: "في نزلت واللّه حين ذكرْت لرسُول اللّه ﷺ إسلامي

ثمّ ذكر نحو الْحديث الّذي قَبْله." وبعد أن فدا العباس نفسه ومن معه رجعوا إلى مكة للاهتمام بالسقاية والرئاسة والرفادة التي كانت في بني هاشم .

## حياته بعد الإسلام :

سلم العباس لاحقاً ووقت إسلامه غير مؤكد، فهناك من قال أنه أسلم قبل فتح خيبر وكتم إسلامه وأظهره يوم فتح مكة قال أبو رافع " :كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت، فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل، وَأَسْلَمْتُ، وكان العباس يهاب قومه، ويكره خلافهم، وكان يكتم إسلامه"، وهناك من يقول أنه أسلم قبل بدر وكان يكتب أخبار قريش إلى الرسول، وأن مسلمي مكة كانوا يتقوون به .ثم هاجر إلى النبي ولقيه طريقه إلى وكان الرسول ذاهباً إلى مكة، وشهد معه فتح مكة، وانقطعت الهجرة .فرح عمه النبي محمد بإسلامه، يقول أبو رافع أنه بشر النبي بإسلام العباس، فأعتقه، إذا أن العباس وهب أبا رافع للنبي .

## جهاده

شهد غزوة حنين، وثبت مع الرسول لما انهزم الناس، قال عباس بن عبد المطلب :"شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ :أي

عباس ناد أصحاب السمرة، فقال عباس وكان رجلا صيتا فقلت: بأعلى صوتي أين أصحاب السمرة قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها فقالوا يا لبيك يا لبيك قال: فاقتتلوا والكفار والدعوة في الأنصار يقولون يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار قال ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يا بني الحارث بن الخزرج يا بني الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله ﷺ :هذا حين حمي الوطيس قال: ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال :انهزموا ورب محمد قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى قال: فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبرا" .

## روايته للحديث

روى العباس بن عبد المطلب عن النبي محمد أحاديث كثيرة، منها خمسة وثلاثون حديثاً في مسند بقي بن مخلد، وحديثاً في صحيح البخاري وفي صحيح مسلم ثلاثة أحاديث .

وقد روى عنه الحديث؛ أبناؤه عبد الله بن العباس، وكثير بن العباس، وأم كلثوم بنت العباس، وعبيد الله بن العباس، ومن غير أبناؤه؛ الأحنف بن قيس، وعبد الله بن الحارث بن نوفل، وجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، وعبد الله بن عميرة، وعامر بن سعد بن أبي وقاص، وإسحاق بن عبد الله بن نوفل، ومالك بن أوس بن الحدثان، ونافع بن جبير بن مطعم،

ومولاه صهيب، والعباس بن عبد الرحمن مولى بني هاشم، وعبد الله بن عنمة المزني، وعبد الرحمن بن سابط الجمحي، ومحمد بن كعب القرظي .

ومن أحاديثه ما رواه الإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص:

" عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: "إِذَا سَجَدَ الْعَبْدُ، سَجَدَ مَعَهُ سَبْعَةُ، أَطْرَافِ وَجْهُهُ، وَكَفَّاهُ، وَرُكْبَتَاهُ، وَقَدَمَاهُ."

وما رواه البخاري في صحيحه عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أنه قال:

" حدثنا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال للنبي ﷺ :"ما أغنيت عن عمك فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: "هو في ضحضاح من نارٍ ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار"

## وفاته

كُفَّ بصره في آخر عمره، وأعتق سبعين مملوكا عند موته. توفي في المدينة المنورة في ١٢ رجب ٣٢ هـ وعمره ثمان وثمانون سنة، بعث بنو هاشم مؤذنين يخبرون الناس بوفاته أهل المدينة المنورة كافة رحم الله من شهد العباس بن عبد المطلب، فأتى حشد عظيم من الناس لجنازته، وازدحموا عليه ليحملوه وليدفنوه، فاضطر الخليفة عثمان بن عفان أن يأتي بالشرطة ليفرق الناس عنه وحضر غسله عثمان بن عفان، وغسله علي بن أبي طالب، وعبد الله ابنه وأخواه قثم، وعبيد الله. فصلىَ عليه عثمان ودُفِنَ في بقيع الغرقد .

## فضله ومكانته

كان للعباس منزلة كبيرة عند رسول الإسلام، و الصحابة كذلك، عن أبي سفيان بن الحارث عن أبيه :" كان العباس أعظم الناس عند رسول الله ﷺ والصحابة يعترفون للعباس بفضله ويشاورونه ويأخذون رأيه" وكان العباس إذا مر بعمر بن الخطاب أو بعثمان بن عفان، وهما راكبان نزلا حتى يجاوزهما إجلالا له .قال له عُمر ذات مرة في حديث طويل: "فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم، وما بي إلا أني قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب لو أسلم" يقصد أنه إسلام العباس أحب اليه من إسلام والده. وقالت عائشة :"ما رأيت رسول الله ﷺ يجل أحدا ما يجل العباس، أو يكرم العباس"

## الاستسقاء به

وكان عمر بن الخطاب إذا قحطوا، استسقى بالعباس بن عبد المطلب فقال :"إنّا كُنّا نَتَوَسّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنّا نَتَوَسّلُ إِلَيْكَ بِعَمّ نَبِيّنَا فَاسْقِنَا ". فَيُسْقَوْنَ .

قال الصحابي حسان بن ثابت :

فَسَقَى الغمام بغُرّة العباسِ سأل الإمامُ وقد تتابع جدبُنا

ورث النبيّ بذاك دُون الناسِ عم النبي وصِنو والده الذي

مُخضرّة الأجنابِ بعد الياسِ أحيا الإله به البلاد فأصبحت

وقال عباس بن عتبة بن أبي لهب :

عشية يستسقي بشيبته عمر بعمّي سقى الله الحجاز وأهله

إليه فما إن رام حتى أتى المطر توجه بالعباس في الجدب راغباً

فهل فوق هذا للمفاخر مفتخر ومنا رسول الله فينا تراثه

قال ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب :"إن العباس بن عبد المطلب دخل على رسول الله ﷺ مغضباً وأنا عنده، فقال: ما أغضبك، قال: يا رسول الله، ما لنا ولقريش إذا تلاقوا بينهم تلاقوا بوجوه مبشرة وإذا لقونا لقونا بغير ذلك قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى احمر وجهه ثم قال: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ثُمَّ قَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ." ويعتبر هذا التوسل من التوسل المشروع في الإسلام لأنهم توسلوا بدعائه ولم يتوسلوا بجاهه ويعتبر هذا هو المحرم في الدين الإسلامي .

## حياته الشخصية

### أوصافه

نقل الذهبي عن الكلبي أنه قال في وصفه بأنه كان شريفاً، مهيباً، عاقلاً، جميلاً، أبيض، بضاً، له ضفيرتان ، معتدل القامة. وأعقب الذهبي في وصفه :"بل كان من أطول الرجال، وأحسنهم صورة، وأبهاهم، وأجهرهم صوتاً، مع الحلم الوافر، والسؤدد."، وقال في موضع آخر :"كان تام الشكل،

جهوري الصوت جداً." ومما يذكر في جهورية صوته أنه كان عندما يحتاج غلمانه يقف على سلع ويسمعهم وهم في الغابة على بعد ثمانية أو تسعة أميال .ومما نقل الذهبي عن أسلم مولى عمر :"أن عمر لما دنا من الشام تنحى ومعه غلامه، فعمد إلى مركب غلامه فركبه، وعليه فرو مقلوب، وحول غلامه على رحل نفسه. وإن العباس لبين يديه على فرس عتيق، وكان رجلا جميلا، فجعلت البطارقة يسلمون عليه، فيشير: لست به، وإنه ذاك."

## زوجاته وذريته

للعباس عشرة أولاد ذكور غير الإناث وتفرقت مواضع قبورهم قال الكلبي :"ما رأينا ولد أم قط أبعد قبورا من بني العباس." أول زوجاته أمّ الفضل لُبابة الكبرى الهلالية الشهيرة بلبابة الكبرى وأبنائها :الفضل بن العباس وهو أكبرهم ويكنى والداه لبابة والعباس به، وعبد الله بن العباس البحر حبر الأمة الذي دعا له ابن عمه النبي محمد فقال :"اللهم فقه في الدين"، عبيد الله بن العباس ويكنى أبا محمد، قثم بن العباس ولا عقب له، عبد الرحمن بن العباس وتوفي في الشام، معبد بن العباس استشهد في إفريقية، أم حبيب بنت العباس زوجها الأَسْوَد بن سفيان بن عبد الأسد المخزومي. وأم ولد اسمها سبأ :تمام بن العباس، كثير بن العباس وكان فقيهاً وأميمة بنت العباس، زوجها العباس بن عتبة بن أبي لهب، وابنها الفضل بن العباس بن عتبة الشاعر المشهور. حجيلة بنت جندب بن الربيع الهذلية :ابنها الحارث بن العباس .صفية بنت العباس،

زوجها الحارث بن يعمر من بني سعد بن بكر، أمها أم ولد. وعون بن العباس .

# خلفاء الدولة العباسية

## نبذة عن خلفاء الدولة العباسية وتأسيسهم لدورلتهم:

| | |
|---|---|
| أول حاكم | عبد الله بن محمد بن علي |
| آخر حاكم | عبد الله بن منصور |
| نظام الحكم | أمير المؤمنين الخليفة |
| مقر الحكم | الكوفة٧٦٦ - ٧٥٠" "<br>بغداد١٢٥٨ - ٨٩٢ / ٨٣٦ - ٧٦٦" "<br>سامراء٨٩٢ - ٨٣٦" "<br>القاهرة١٥١٧ - ١٢٦١"" |
| التبعية | وراثيَّة |
| بداية السلالة | ٧٥٠م/١٣٢هـ |
| نهاية السلالة | ٦٥٦هـ/١٢٥٨م - ٩٢٢هـ/١٥١٧م |

خلفاء الدولة العباسية هُم مجموعةٌ من الخلفاء القرشيين المُسلمين المتحدرين من سلالة أصغر أعمام نبي الإسلام محمد بن عبد الله، ألا وهوالعباس بن عبد المطلب.

اعتمد العباسيون في تأسيس دولتهم على الفرس الناقمين على الأمويين لاستبعادهم إياهم من مناصب الدولة والمراكز الكبرى، واحتفاظ العرب بها، كذلك استمال العباسيون الشيعة للمساعدة على زعزعة كيان الدولة الأموية. نقل العباسيون عاصمة الدولة، بعد نجاح ثورتهم، من دمشق، إلى الكوفة، ثم الأنبار قبل أن يقوموا بتشييد مدينة بغداد لتكون عاصمة لهم، والتي ازدهرت طيلة ثلاث قرون من الزمن، وأصبحت أكبر مدن العالم وأجملها، وحاضرة العلوم والفنون، لكن نجمها أخذ بالأفول مع بداية غروب شمس الدولة العباسية ككل. تنوّعت الأسباب التي أدّت لانهيارالدولة العباسية.

انتهى الحكم العباسي في بغداد سنة ١٢٥٨م عندما أقدم هولاكو خان التتري على نهب وحرق المدينة وقتل أغلب سكانها بما فيهم الخليفة وأبنائه. انتقل من بقي على قيد الحياة من بني العباس إلى القاهرة بعد تدمير بغداد، حيث أقاموا الخلافة مجددًا في سنة ١٢٦١م، وبحلول هذا الوقت كان الخليفة قد أصبح مجرد رمز لوحدة الدولة الإسلامية دينيًا، أما في الواقع فإن سلاطين المماليك كانوا هم الحكّام الفعليين للدولة.

استمرت الخلافة العباسية قائمة حتى سنة ١٥١٩م، عندما اجتاحت الجيوش العثمانية بلاد الشام ومصر وفتحت مدنها وقلاعها، فتنازل آخر الخلفاء عن لقبه لسلطان آل عثمان، سليم الأول، فأصبح العثمانيون خلفاء المسلمين، ونقلوا مركز العاصمة من القاهرة إلى الآستانة.

# خلفاء الكوفة وبغداد وسامراء

| ملاحظات | فترة الخلافة | الخليفة | اللقب |
|---|---|---|---|
| • عبد الله ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وريَطة بنت عبيد الله الحارثي.<br>• حكم حتّى مماته.<br>• أطاح بالأمويين في معركة الزاب. | "١٣٢هـ - ١٣٦هـ"<br>"٧٥٠م - ٧٥٤م" | عبد الله بن محمد | السفاح ،أبو العباس ،المرتضى ،القائم. |
| • ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وسلامة البربرية.<br>• حكم حتّى مماته . | "١٣٧هـ - ١٥٨هـ"<br>"٧٥٤م - ٧٧٥م" | عبد الله الثاني بن محمد | أبو جعفر المنصور. |
| • ابن أبو جعفر المنصور وأروى بنت منصور الحميري.<br>• حكم حتّى مماته | "١٥٨هـ - ١٦٩هـ"<br>"٧٧٥م - ٧٨٦م" | محمد بن عبدالله | أبو عبد الله ،المهدي. |
| • ابن محمد بن | "١٦٩هـ - | موسى بن | أبو محمد ،الهادي. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| عبدالله والخيزران .<br>• حكم حتّى مماته . | "١٧٠هـ<br>"٧٨٦م - ٧٨٧م" | محمد | |
| • ابن محمد بن عبدالله وأم ولد تسمى الخيزران.<br>• حكم حتّى مماته . | "١٧٠هـ -<br>١٩٣هـ"<br>"٧٨٧م - ٨٠٩م" | هارون بن محمد | الرشيد ،أبو موسى ،أبو جعفر. |
| • ابن هارون الرشيد و زبيدة بنت جعفر.<br>• حكم حتّى مماته . | "١٩٣هـ -<br>١٩٨هـ"<br>"٨٠٩م - ٨١٤م" | محمد بن هارون | الأمين ،أبو عبد الله. |
| • ابن هارون الرشيد وأم ولد تدعى مراجل.<br>• حكم حتّى مماته . | "١٩٨هـ -<br>٢١٨هـ"<br>"٨١٤م - ٨٣٣م" | عبد الله بن هارون | المأمون ،أبو العباس. |
| • ابن أبو عبد الله محمد المهدي وشكلة.<br>• خرج على ابن أخيه المأمون في بغداد. | "٢٠٢هـ -<br>٢٠٣هـ"<br>"٨١٧م - ٨١٩م" | إبراهيم بن المهدي | الأمير الكبير، المبارك ،أبو إسحاق، الخليفة الأسود، التنين. |
| • ابن هارون الرشيد وأم ولد تدعى ماردة.<br>• حكم حتّى مماته . | "٢١٨هـ -<br>٢٢٧هـ"<br>"٨٣٣م -<br>٨٤٢م"[١٢] | محمد بن هارون الرشيد | المعتصم ،أبو إسحاق. |
| • ابن المعتصم بالله وأم ولد تدعى قراطيس.<br>• حكم حتّى مماته . | "٢٢٧هـ -<br>٢٣٢هـ"<br>"٨٤٢م - ٨٤٧م" | هارون بن محمد | الواثق بالله ،أبو جعفر. |

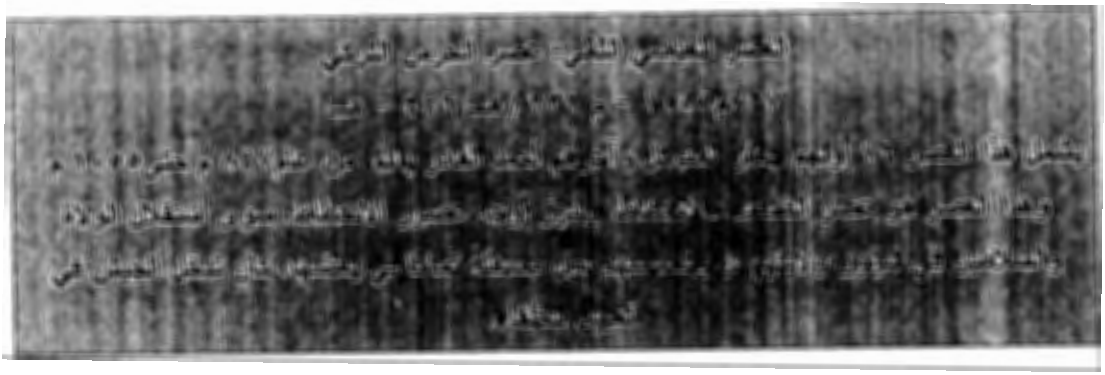

| | | | |
|---|---|---|---|
| • ابن محمد بن هـارون الرشيد وأم ولد تدعى شجاع.<br>• حكم حتّى مماته . | "٢٣٢هـ - ٢٤٧هـ"<br>"٨٤٧م - ٨٦٢م"[1] | جعفر بن محمد المعتصم | المتوكل على الله ،أبو الفضل. |
| • ابـن المتوكـل علـى الله وأم ولـد تـدعى حبشية.<br>• حكم حتّى مماته . | "٢٤٧هـ - ٢٤٨هـ"<br>"٨٦٢م - ٨٦٢م" | محمد بن جعفر | المنتصر بالله ،أبو جعفر. |
| • ابن محمد بن المعتصم بالله وأم ولد اسـمها مخارق<br>• خلـع نفسـه في محرم ٢٥٢ هـ . | "٢٤٨هـ - ٢٥٢هـ"<br>"٨٦٢م - ٨٦٦م" | أحمد المستعين بالله | المستعين بالله ،أبو العباس. |
| • ابـن المتوكـل علـى الله وقبيحة.<br>• خلعه الأتراك وأجبروه | "٢٥٢هـ - ٢٥٥هـ"<br>"٨٦٦م - ٨٦٩م" | المعتز بالله | المعتز بالله ،أبو عبد الله. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| على التنازل عن الخلافة | | | |
| • ابن هارون الواثق ووردة.<br>• قُتل في منتصف رجب عام ٢٥٦هـ . | "٢٥٥هـ - ٢٥٦هـ"<br>"٨٦٩م - ٨٧٠م" | محمد بن هارون الواثق | أبو إسحاق،المهتدي بالله. |
| • ابن جعفر المتوكل وفتيان.<br>• حكم حتى مماته | "٢٥٦هـ - ٢٧٩هـ"<br>"٨٧٠م - ٨٩٢م" | أحمد بن جعفر المتوكل | أبو العباس ،المعتمد على الله. |
| • ابن طلحة الموفق وصواب.<br>• حكم حتى مماته . | "٢٧٩هـ - ٢٨٩هـ"<br>"٨٩٢م - ٩٠٢م" | أحمد بن طلحة بن جعفر المتوكل | المعتضد بالله ،السفاح الثاني ،أبو العباس. |
| • ابن أحمد المعتضد وجيجك.<br>• حكم حتى مماته . | "٢٨٩هـ - ٢٩٥هـ"<br>"٩٠٢م - ٩٠٨م" | علي بن أحمد المعتضد | أبو أحمد ،المكتفي بالله. |
| • ابن أحمد المعتضد وغريب.<br>• قُتل عام ٣٢٠هـ<br>• خلفه عبد الله بن المعتز بالله الذي ولي الخلافة يوماً واحداً فقط . | "٢٩٥هـ - ٣١٧هـ"<br>"٩٠٨م - ٩٣٢م" | جعفر بن أحمد المعتضد | المقتدر بالله ،أبو الفضل. |
| • ولي الخلافة يوماً | "٢٩٦هـ - ٢٩٦هـ" | عبد الله بن المعتز | المرتضى، أبو |

| واحداً فقط. | "٩٠٩م – ٩٠٩م" | بالله | العباس. |
|---|---|---|---|
| • ابن أحمد المعتضد بالله وفتنة.<br>• حبسه الجند من ٣٢٢ حتى ٣٣٣ بعد ان امتنع عن خلع نفسه ،مات عام ٣٣٩ . | "٣٢٠هـ – ٣٢٢هـ"<br>"٩٣٢م – ٩٣٤م" | محمد بن أحمد المعتضد | أبو منصور ،القاهر بالله. |
| • أعيد للخلافة ثم خُلع. | "٣١٧هـ – ٣٢٠هـ"<br>"٩٠٨م – ٩٣٢م" | جعفر بن أحمد المعتضد | المقتدر بالله ،أبو الفضل. |
| • ابن أحمد المعتضد بالله وفتنة.<br>• حبسه الجند من ٣٢٢ حتى ٣٣٣ بعد ان امتنع عن خلع نفسه ،مات عام ٣٣٩ . | "٣٢٠هـ – ٣٢٢هـ"<br>"٩٣٢م – ٩٣٤م" | محمد بن أحمد المعتضد | أبو منصور ،القاهر بالله. |
| • ابن جعفر المقتدر وظلوم.<br>• حكم حتى مماته | "٣٢٢هـ – ٣٢٩هـ"<br>"٩٣٤م – ٩٤٠م" | محمد بن جعفر المقتدر | الراضي بالله ،أبو العباس. |
| • ابن جعفر المقتدر وخلوب.<br>• خُلع بعد أن سملت عيناه ،ثم سجن ٢٥ سنة حتى وفاته عام | "٣٢٩هـ – ٣٣٣هـ"<br>"٩٤٠م – ٩٤٤م" | إبراهيم بن جعفر المقتدر | المتقي لله ،أبو إسحاق. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| ٣٥٧هـ . | | | |
| • ابن علي المكتفي وأم ولد تدعى أملح الناس.<br>• خلعه أحمد بن بويه "معز الدولة" ،بعد ان سملت عيناه ،ثم سجن إلى أن مات سنة ٣٣٨هـ . | "٣٣٣هـ - ٣٣٤هـ"<br>"٩٤٦ - ٩٤٤م" | عبد الله بن علي المكتفي | المستكفي بالله ،أبو القاسم |
| • ابن جعفر المقتدر وشغلة.<br>• أصيب بفالج بلسانه عام ٣٦٣ فخلع نفسه ثم توفي عام ٣٦٤هـ | "٣٣٤هـ - ٣٦٣هـ"<br>"٩٤٦م - ٩٧٤م" | الفضل بن جعفر المقتدر | المطيع لله ،أبو القاسم. |
| • ابن الفضل المطيع لله وأمه أم ولد تدعى هزار أو عتب.<br>• كتب بهاء الدولة البويهي على الخليفة كتابًا يخلع فيه نفسه عام ٣٨١هـ ،وبقي عند الخليفة الجديد حتى توفي ليلة عيد الفطر عام ٣٩٣هـ | "٣٦٣هـ - ٣٨١هـ"<br>"٩٧٤م - ٩٩١م" | عبد الكريم بن الفضل المطيع | الطائع لله ،أبو بكر. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| • ابن إسحق بن المقتدر بالله وأمه أم ولد اسمها تمني.<br>• حكم حتى مماته . | "٣٨١هـ - ٤٢٢هـ"<br>"٩٩١م - ١٠٣١م" | أحمد بن إسحاق بن المقتدر | القادر بالله ،أبو العباس. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| • ابن أحمد القادر بالله وبدر الدجى أو قطر الندى.<br>• حكم حتى مماته ٤٥ سنة . | "٤٢٢هـ - ٤٦٧هـ"<br>"١٠٣١م - ١٠٧٥م" | عبد الله بن أحمد القادر | القائم بأمر الله ،أبو جعفر. |
| • ابن عبد الله القائم بأمر الله وأرجوان.<br>• حكم حتى مماته . | "٤٦٧هـ - ٤٨٧هـ"<br>"١٠٧٥م - ١٠٩٤م" | عبد الله بن محمد بن عبد الله القائم | المقتدي بأمر الله ،أبو القاسم. |
| • ابن عبد الله المقتدي بالله.<br>• حكم حتى مماته . | "٤٨٧هـ - ٥١٢هـ"<br>"١٠٩٤م - ١١١٨م" | أحمد بن عبد الله المقتدي | المستظهر بالله ،أبو العباس. |
| • ابن أحمد المستظهر بالله وأم ولد.<br>• قُتل عام ٥٢٩هـ | "٥١٢هـ - ٥٢٩هـ"<br>"١١١٨م - ١١٣٥م" | الفضل بن أحمد المستظهر | المسترشد بالله ،أبو منصور. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| وعمرة ٤٥ سنة . | | | |
| • ابن الفضل المسترشد بالله.<br>• خُلع وهو لم يكمل السنة وقُتل في أصبهان سنة ٥٣٢هـ | "٥٢٩هـ - ٥٣٠هـ"<br>"١١٣٥م - ١١٣٦م" | منصور بن الفضل المسترشد | الراشد بالله ،أبو جعفر. |
| • ابن أحمد المستظهر بالله وأمه حبشية.<br>• حكم حتى مماته وعمره ٦٦ سنة . | "٥٣٠هـ - ٥٥٥هـ"<br>"١١٣٦م - ١١٦٠م" | محمد بن أحمد المستظهر | المقتفي لأمر الله ،أبو عبد الله. |
| • ابن محمد المقتفي لأمر الله وطاووس.<br>• حكم حتى مماته سنة ٥٦٦هـ . | "٥٥٥هـ - ٥٦٦هـ"<br>"١١٦٠م - ١١٧٠م"[٤٢] | يوسف بن محمد المقتفي | المستنجد بالله ،أبو المظفر. |
| • ابن يوسف المستنجد بالله و«غضة.«<br>• انتهت الدولة العبيدية في عهده عام ٥٦٧هـ .<br>• حكم حتى مماته. | "٥٦٦هـ - ٥٧٥هـ"<br>"١١٧٠م - ١١٨٠م" | الحسن بن يوسف المستنجد | المستضيء بأمر الله ،أبو محمد. |
| • ابن الحسن المستضيء بأمر الله وزمرد.<br>• ظهر الأيوبيون في عهده وفتح صلاح الدين الأيوبي القدس | "٥٧٥هـ - ٦٢٢هـ"<br>"١١٨٠م - ١٢٢٥م" | أحمد بن الحسن المستضيء بأمر الله | الناصر لدين الله ،أبو العباس. |

| | | | |
|---|---|---|---|
| عام ٥٨٣.<br>• حكم حتى مماته وكانت مدة خلافته ٤٧ سنة . | | | |
| • ابن أحمد الناصر لدين الله.<br>• حكم حتى مماته وكانت خلافته تسعة أشهر . | "٦٢٢هـ - ٦٢٣هـ"<br>"١٢٢٥م - ١٢٢٦م" | محمد بن أحمد الناصر لدين الله | الظاهر بأمر الله ،أبو نصر. |
| • ابن محمد الظاهر بأمر الله وجارية تركية.<br>• حكم حتى مماته ١٠ جمادى الآخرة ٦٤٠هـ | "٦٢٣هـ - ٦٤٠هـ"<br>"١٢٢٦م - ١٢٤٢م" | منصور بن محمد الظاهر بأمر الله | المستنصر بالله ،أبو جعفر. |
| • ابن منصور المستنصر بالله وهاجر.<br>• دخل التتار عاصمة الخلافة بغداد بعد خيانة وزيرة ابن العلقمي.<br>• قُتل المستعصم رفسًا على يد التتار ٢٤ صفر ٦٥٦هـ | "٦٤٠هـ - ٦٥٦هـ"<br>"١٢٤٢م - ١٢٥٨م" | عبد الله بن منصور المستنصر بالله | المستعصم بالله ،أبو أحمد. |

# خلفاء الدولة العباسية فى القاهرة

العصر العباسي الرابع: السلطنة المملوكية
(١٢٦١ - ١٥١٧م / ٦٥٩ - ٩٢٣هـ)
بدأ هذا العصر عندما منح المستنصر بالله الثاني بالنصر المماليك في معركة عين جالوت ثم توجه إلى القاهرة فأنشأ بها ثم بايعه السلطان بيبرس بالخلافة. وانتهى عندما دخل سليم الأول ١٥١٧م مصر فاتحا.

| فترة الخلافة | الخليفة | لقب |
|---|---|---|
| ٦٥٩"هـ - ٦٦٠هـ"<br>١٢٦١"م - ١٢٦٢م" | أحمد المستنصر بالله | المستنصر بالله الثاني ،أبو القاسم. |
| ٦٦٠"هـ - ٧٠١هـ"<br>١٢٦٢"م - ١٣٠٢م" | أحمد الحاكم بأمر الله | الحاكم بأمر الله الأول ،أبو العباس. |
| ٧٠١"هـ - ٧٣٦هـ"<br>١٣٠٢"م - ١٣٤٠م" | سليمان المستكفي بالله | المستكفي بالله ،أبو الربيع |
| ٧٣٦"هـ - ٧٤٢هـ"<br>١٣٤٠"م - ١٣٤١م" | إبراهيم الواثق بالله | الواثق بالله الثاني ،أبو إسحق |
| ٧٤٢"هـ - ٧٥٣هـ"<br>١٣٤١"م - ١٣٥٢م" | أحمد الحاكم بأمر الله | الحاكم بأمر الله الثاني ،أبو العباس |

| | | |
|---|---|---|
| ٧٥٣"هـ - ٧٦٣هـ"<br>١٣٥٢"م - ١٣٦٢م" | أبو بكر المعتضد بالله | المعتضد بالله الثاني ،أبو الفتح ،أبو بكر |
| ٧٦٣"هـ - ٧٧٩هـ"<br>١٣٦٢"م - ١٣٧٧م" | محمد المتوكل على الله | المتوكل على الله الأول،أبو عبد الله |
| ٧٧٩"هـ - ٧٧٩هـ"<br>١٣٧٧"م - ١٣٧٧م" | زكريا المستعصم بالله | المستعصم بالله الثاني ،أبو يحي |
| ٧٨٥"هـ - ٧٨٨هـ"<br>١٣٧٧"م - ١٣٨٣م" | محمد المتوكل على الله | المتوكل على الله الأول ،أبو عبد الله |
| ٧٨٨"هـ - ٧٨٥هـ"<br>١٣٨٣"م - ١٣٨٦م" | عمر الواثق بالله | الواثق بالله الثالث ،أبو حفص |
| ٧٨٥"هـ - ٧٩١هـ"<br>١٣٨٦"م - ١٣٨٩م" | زكريا المستعصم بالله | المستعصم بالله الثاني ،أبو يحي |
| ٧٩١"هـ - ٨٠٨هـ"<br>١٣٨٩"م - ١٤٠٦م" | محمد المتوكل على الله | المتوكل على الله الأول ،أبو عبد الله |
| ٨٠٨"هـ - ٨١٦هـ"<br>١٤٠٦"م - ١٤١٤م" | العباس المستعين بالله | المستعين بالله الثاني ،أبو الفضل |
| ٨١٦"هـ - ٨٤٥هـ" | داود المعتضد بالله | المعتضد بالله الثالث ،أبو الفتح |

| | | |
|---|---|---|
| ١٤١٤"م – ١٤٤١م" | | |
| ٨٤٥"هـ – ٨٥٤هـ"<br>١٤٤١"م – ١٤٥١م" | سليمان المستكفي بالله | المستكفي بالله الثالث ،أبو الربيع |
| ٨٥٤"هـ – ٨٥٩هـ"<br>١٤٥١"م – ١٤٥٥م" | حمزة القائم بأمر الله | القائم بأمر الله الثاني ،أبو البقاء |
| ٨٥٩"هـ – ٨٨٤هـ"<br>١٤٥٥"م – ١٤٧٩م" | يوسف المستنجد بالله | المستنجد بالله الثاني ،أبو المحاسن |
| ٨٨٤"هـ – ٩٠٣هـ"<br>١٤٧٩"م – ١٤٩٧م" | عبد العزيز المتوكل على الله | المتوكل على الله الثاني ،أبو العز |
| ٩٠٣"هـ – ٩١٤هـ"<br>١٤٩٧"م – ١٥٠٨م" | يعقوب المستمسك بالله | المستمسك بالله ،أبو الصبر |
| ٩١٤"هـ – ٩٢٢هـ"<br>١٥٠٨"م – ١٥١٦م" | محمد المتوكل على الله | المتوكل على الله الثالث |
| ٩٢٢"هـ – ٩٢٣هـ"<br>١٥١٦"م – ١٥١٧م" | يعقوب المستمسك بالله | المستمسك بالله ،أبو الصبر |
| ٩٢٣"هـ – ٩٢٣هـ"<br>١٥١٧"م – ١٥١٧م" | محمد المتوكل على الله | المتوكل على الله الثالث |

# الدولة العباسية الأولى

**التأسيس : ٧٥٠ – ٧٨٥**

**سلاطين هذه الفترة :**

- أبو العباس السفاح
- أبو جعفر المنصور
- أبو مسلم الخراساني
- مروان بن محمد

تأسست الدولة العباسية على يد المنحدرين من سلالة أصغر أعمام نبي الإسلام محمد بن عبد الله، ألا وهو العباس بن عبد المطلب، وقد اعتمد العباسيون في تأسيس دولتهم على الفرس الناقمين على الأمويين لاستبعادهم إياهم من مناصب الدولة والمراكز الكبرى، واحتفاظ العرب بها، كذلك استمال العباسيون الشيعة للمساعدة على زعزعة كيان الدولة الأموية . نقل العباسيون عاصمة الدولة، بعد نجاح ثورتهم، من دمشق ، إلىالكوفة، ثم الأنبار قبل أن يقوموا بتشييد مدينة بغداد لتكون عاصمة لهم، والتي ازدهرت طيلة ثلاث قرون من الزمن، وأصبحت أكبر مدن العالم وأجملها، وحاضرة العلوم والفنون، لكن نجمها أخذ بالأفول مع بداية غروب شمس الدولة العباسية ككل. تنوّعت الأسباب التي أدّت لانهيار الدولة العباسية، ومن أبرزها: بروز حركات شعوبية ودينية مختلفة في هذا العصر، وقد أدّت النزعة الشعوبية إلى تفضيل الشعوب غير العربية على العرب، وقام جدل طويل بين طرفيّ النزاع، وانتصر لكل فريق أبناؤه.

وإلى جانب الشعوبية السياسية، تكوّنت فرق دينيةمتعددة عارضت الحكم العبّاسي. وكان محور الخلاف بين هذه الفرق وبين الحكام العبّاسيين هو "الخلافة "أو إمامة المسلمين. وكان لكل جماعة منهم مبادئها الخاصة ونظامها الخاص وشعاراتها وطريقتها في الدعوة إلى هذه المبادئ الهادفة لتحقيق أهدافها في إقامة الحكم الذي تريد. وجعلت هذه الفرق الناس طوائف وأحزابًا، وأصبحت المجتمعات العباسيّة ميادين تتصارع فيها الآراء وتتناقض، فوسّع ذلك من الخلاف السياسي بين مواطني الدولة العبّاسية وساعد على تصدّع الوحدة العقائدية التي هي أساس الوحدة السياسية.

ومن العوامل الداخلية التي شجعت على انتشار الحركات الانفصالية، اتساع رقعة الدولة العبّاسية، ذلك أن بعد العاصمة والمسافة بين أجزاء الدولة وصعوبة المواصلات في ذلك الزمن، جعلا الولاة في البلاد النائية يتجاوزون سلطاتهم ويستقلون بشؤون ولاياتهم دون أن يخشوا الجيوش القادمة من عاصمة الخلافة لإخماد حركتهم الانفصالية والتي لم تكن تصل إلا بعد فوات الأوان، ومن أبرز الحركات الانفصالية عن الدولة العباسية :حركة الأدراسة وحركة الأغالبة، والحركة الفاطمية.

## انهيار الدولة الأموية

### معركة الزاب :

أصيبت الدولة الأموية بالضعف إثر وفاة عاشر خلفائها هشام بن عبد الملك يوم ١٠ يناير سنة٧٤٣ م، الموافق فيه ٩ ربيع الأول سنة١٢٥ هـ وتعاقب من بعده أربع خلفاء هم الوليد بن يزيد الذي

قتلته الأسرة الأموية لانشغاله عن الدولة وأمور السياسة ويزيد بن الوليد وإبراهيم القاسم ومروان بن محمد، وتميزت فتراتهم بانقسام داخلي حاد واستشراء الحروب الداخلية، فضلاً عن الوضع الاقتصادي المتردي، ما ساهم في تقوية الجماعات والأحزاب الدينية والحركات السياسية المعارضة لحكمهم والتي كانت منتشرة بشكل أساسي في العراق وإيران، البعيدة عن حاضرة الخلافة في دمشق .وأبرز تلك الأحزاب التي عارضت بني أمية الحزب القائل بأحقية سلالة علي بن أبي طالب بالخلافة والحزب القائل بأحقية سلالة عباس بن عبد المطلب عم النبي محمد بالخلافة.

كان الحزب الأول قد أطلق عدة ثورات خلال الحكم الأموي، أدت إلى مقتل العديد من مواليه وقادته، فقتلالحسين بن علي عام٦٨٠ م وقتل زيد بن علي عام٧٤٠ م بعد أن ثار في الكوفة .أما الحزب العباسي فقد تطور تطورًا تدريجيًا والتزم الهدوء طوال عهود القوة الأموية واستغل ضعف الاقتصاد لتفجير ثورته.

فضلاً عن ذلك يرى الباحث عبد العزيز الدوري أن العباسيين قد استغلوا أيضًا التمييز العنصري والطبقي الذي كان يمارسها الأمويون بين العرب وغير العرب في الوظائف والضرائب والجيش، فكونوا بذلك قاعدة شعبية عريضة لدى غير العرب خصوصًا في أوساط فلاحي الريف وعمال المدن الفقراء. وذهب الدردوري وعدد آخر من الباحثين العرب والمستشرقين لاستخلاص قاعدة مفادها بأن الدعوة العباسية كانت "ثورة دينية واجتماعية واقتصادية" ويراها البعض أيضًا "ثورة الفرس ضد العرب".

الأربعة ممالك الكبرى في عام ٨٠٠ بعد الميلاد : الدولة العباسية وعاصمتها بغداد"أخضر" والدولة الأموية "أخضر فاتح" في الأندلس، وإمبراطورية شارلمان "بنفسجي"،والدولة البيزنطية "بني"

ويمكن إرجاع نضوج الدعوة العباسية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وابنه إبراهيم الذي سجنه آخر الأمويين مروان بن محمدفي مدينة حران إلى أن توفي عام٧٤٦ م، فتولى أخاه أبو العباس شؤون الحركة العباسية بناءً على دعوة أبو مسلم الخراساني.

وقد قام أبو مسلم بإعلان قيام الدولة العباسية في خرسان وحارب نصر بن سيار الوالي الأموي فيها وانتصر عليه، ثم احتلّ مدينة مروومنها انتقل أبو العباس إلى الكوفة في أغسطس سنة٧٤٢ م بشكل سري، وظل مختفيًا حتى ٢٩ أكتوبر ٧٥٠ م، الموافق فيه١٢ ربيع الأول سنة١٣٢ هـ حين بايعه أهل الكوفة بالخلافة، لتدخل عملية خلق الدولة العباسية مرحلتها الأخيرة، إذ التقى إثر ذلك الجيش الأموي بقيادة مروان بن محمد وجيش العباسيين بقيادة أبي العباس قرب نهر الزاب شمال العراق بين الموصل وأربيل، وكانت الغلبة للعباسيين، الذي أتموا فتح العراق وانتقلوا منها إلى بلاد الشام فمصر حيث طاردوا فلول الجيش الأموي وقتلوا الخليفة مروان بن محمد في معركة بوصير.

## أبو العباس السفاح أول خلفاء الدولة العباسية :

عَبْد الله بن محمد بن علي بن عَبْد الله ابن العباس بن عَبْد المُطّلِب ولد بالحميمة (وهي قرية موجودة بالأردن حاليا) في أيام حكم الأمويين ووالده هو محمد بن علي المعروف بالسجاد (وهو غير علي السجاد زين العابدين بن الحسين بن علي)، نزل والده الحميمة انقطاعًا عن الدنيا للعبادة، وفيها نزل ضيفًا عليه أبو هاشم عبد الله بن محمد (الملقبابن الحنفية) بن علي بن أبي طالب، وكان راجعا من سليمان بن عبد الملك، وتوفي لديه بعد أنْ نقل إليه أسرار الدعوة السرية لآل البيت. اضطلع محمد بن علي وأبناؤه بالدعوة السرية، ودعموها، وحين توفي محمد بن علي، تولى الدعوة من بعده إبراهيم الإمام بن محمد، وكان ابن امرأة من حرائر العرب، وكاد الأمر أن يتم لولا أنْ كشفه مروان بن محمد فقتل الإمام، وفر أبو العباس وأخوه أبو جعفر إلى الكوفة، وكان إبراهيم قد أوكل الأمر إلى أبي العباس من بعده مع أنّه أصغر من أبي جعفر، إلا أنّه ابن امرأة حرّة.

وهي ريطة بنت عبيد الله بن أبي المدان الحارثي (وحارث قبيلة تشتغل بالزراعة والحرث تسكن حتى اليوم في جبال جنوب الحجاز في ضواحي الطائف(، وأبو جعفر ابن أمة بربرية. حكم أبو العباس أربع سنوات )٧٥٤ - ٧٥٠( حوّل خلالها الدعوة إلى دولة.

## قتل مروان بن محمد

شق على مروان بن محمد بيعة السفاح، فجهز جيشاً وهو بالجزيرة، فتقدم إليه أبو عون بن أبي يزيد في جيش كثيف ، وهو أحد أمراء السفاح، فنازله على نهر الزاب، وجاءت الإمدادات من جهة السفاح وعليهم عبد الله بن علي، واشتد القتال، وتخاذل عن مروان بعض جيشه، فانهزم أصحاب مروان، وهرب مروان حتى دخل مصر، فلحق به صالح بن علي فقتله ببوصير من بلاد الصعيد يوم الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة

## قمع الثورات

ولم يخل عهده من ثورات قام بها بعض الأمويين في أول عهده بالخلافة وفى آخره، فقضى على ثورة أبى الورد الذي انضم إليه أهل قنسرين، وحمص ودمشق، وكان ذلك عام تولّيه الحكم. وفى آخر عهده، أعلن أهل دمشق تمردهم على خلافة العباسيين سنة ١٣٦ هـ، ٧٥٤م، وبايعوا أحد الأمويين، ولكنهم ما لبثوا أن هربوا أمام الجيش العباسي الذي داهمهم وطاردهم.

## أعماله

- بنى مدينة الهاشمية في الأنبار، نسبة إلى هاشم جد العباسيين، وأتخذها مقرا له.
- قضى على بعض القادة الذين ساعدوه في تأسيسي الدولة العباسية إما بالقتل، أو بالسجن بسبب مناصرتهم لحركات معادية للعباسيين.

- حدد معالم الطريق بين الكوفة ومكة، إذ أمر بأن توضع منارات في الطريق يهتدي بها المسافرون.

وبفتح العباسيين مصر دانت لهم سائر الأمصار التي كانت تابعة للأمويين وتأسست الدولة العباسية، ثالث مراحل تاريخ الخلافة، بعد الراشدية والأموية، وبويع أبو العباس بالخلافة ولقب بالسفّاح لكثرة سفكه الدماء، خصوصًا لدى دخوله دمشق حاضرة الأمويين، إذ نهب بيوت الأسرة الأموية والمقربين منها وأحرق قصورهم ثم نبش قبور خلفائهم، ولم ينج من الأسرة الأموية سوى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذي انتقل إلى المغرب ثم دخل الأندلس فاستقلّ بها مؤسسًا حكمًا أمويًا فيها. أما أبو العباس السفاح فقد نقل عاصمة الدولة من حران التي كان مروان بن محمد قد نقل إليها عاصمة الدولة الأموية، إلى الكوفة .

**وفاته**

لم يدم حكمه طويلا حيث بقي في الخلافة أربع سنوات وتسعة أشهر، وتوفي بمرض الجدري في مدينة الأنبار، العراق عام١٣٦ هـ بعد أن عهد بالخلافة لأخيه أبي جعفر المنصور.

**أبو جعفر المنصور)٧٧٥-٧١٢(**

هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ثاني خلفاء بني العباس وأقواهم. وهو أسن من أخيه السفاح بست سنين ولكن أخاه الإمام إبراهيم بن محمد بن علي حينما قبض عليه جنود مروان بن محمد سلم الإمامة لابي العباس دون المنصور.

واشتهر المنصور بتشييد مدينة بغداد التي تحولت لعاصمة الدولة العباسية. وتولى الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح من عام٧٥٤م حتى وفاته في عام٧٧٥م١٣٦.إلى ١٥٨ه

كان الهم الأكبر للمنصور أثناء حكمه هو تقوية حكم أسرة بني العباس والتخلص من أي خطر يهدد سيطرتهم حتى لو كان حليفا سابقا مثل أبو مسلم الخراساني الذي قاد الثورة العباسية ضد الأمويين في خراسان.

ويعد أبو جعفر هو المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، ولا شك إن المدة التي قضاها المنصور في الخلافة العباسية تعتبر من أهم عصور الخلافة، فقد حكم ما يقرب من ٢٢ عاما، حكما قويا وركز الخليفة فيها جميع سلطات الدولة في يده. يقول ابن طباطبا في الفخري هو الذي سن السنن وأرسى السياسة واخترع الأشياء، وسار أبناؤه الخلفاء من بعده على مسيرته؛ وهو فوق ذلك جعل لبني العباس سند شرعي في وراثة الدولة أعطت لهم السبق على أبناء عمهم الطالبيين تمثلت في المكاتبات بينه وبين محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية ويتلخص ذاك السند في الفتوى بإن العم أحق في الوراثة من البنت وإبن العم ويقصد بذلك فاطمة الزهراء، وعلي بن أبي طالب، كما أن المنصور هو من سن السياسةالدينية وجعلها أساسا لحكم العباسيين وذهب في ذلك إلى ابعد حد حتى قال إنما انا سلطان الله في ارضه.

## ولادته ونشأته

ولد عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس سنة (٩٥ هـ/ ٧١٤ م)في قرية الحميمة التي تقع في معان جنوب الأردن، ونشأ بين كبار رجال بني هاشم الذين كانوا يسكنون الحميمة، فشب فصيحا عالما بالسير والأخبار، ملما بالشعر والنثر. وكان أبوه محمد بن علي هو الذي نظّم الدعوة العباسية، وخرج بها إلى حيز الوجود، واستعان في تحركه بالسرية والكتمان، والدقة في اختيار الرجال والأنصار والأماكن التي يتحرك فيها الدعاة، حيث اختار الحميمة والكوفة وخراسان، وأمه أم ولد بربرية اسمها سلامة.

حين نجحت الدعوة العباسية وأطاحت بالدولة الأموية؛ تولى أبو العباس السفّاح الخلافة سنة (١٣٢ هـ/٧٥٠ م ) واستعان بأخيه أبي جعفر في محاربة أعدائه والقضاء على خصومه وتصريف شؤون الدولة، وأرسله كذلك لقتال إسحاق بن مسلم العقيلي في سميساط في الجزيرة الفراتية وأحد قادة مروان بن محمد وكان عند حسن ظنه قدرة وكفاءة فيما تولى، حتى إذا مرض أوصى له بالخلافة من بعده، فوليها في ذي الحجة ١٣٦ هـ/ يونيو ٧٥٤ م) وهو في الحادية والأربعين من عمره.

**صفاته**

كان أبو جعفر المنصور فحل بنى العباس هيبة وجبروتا، وكان يلبس الخشن، ويرقع القميص ورعًا وزهدًا وتقوى، ولم يُرَ في بيته أبدًا لهو ولعب أو ما يشبه اللهو واللعب. ولم يقف ببابه الشعراء لعدم وصله لهم بالأعطيات كما كان يفعل غيره من الخلفاء. وهو من أعظم رجال بني

العباس فقد كان في خلقه الجد والصرامة والبعد عن اللهو والترف .فقد اتصف بالشدة واليأس واليقظة والحزم والصلاح والاهتمام بمصالح الرعية وعرف بالثبات عند الشدائد ولاشك بأن هذه الصفة كانت من بين أبرز الصفات التي كفلت له النجاح في حكم الدولة العباسية.

وذكر عن حماد التركي أنه قال: "كنت واقفا على رأس المنصور فسمع جلبة في الدار فقال ما هذا يا حماد أنظر فذهبت فإذا خادم له قد جلس بين الجواري وهو يضرب بالطنبور وهن يضحكن فجئت فأخبرته فقال وأي شيء الطنبور فوصفته له فقال له أصبت صفته فما يدريك أنت ما الطنبور فقال رأيته بخراسان ثم قام حتى أشرف عليهم فلما بصروا به تفرقوا فأخذ الضارب وكسر الطنبور على رأسه وأخرجه من قصره". وقد عرف عن المنصور ميله إلى الاقتصاد في النفقات حتى امتلأت بالأموال خزائنه، ولم يكن المنصور يعطي الشعراء تلك العطايا البالغة حد السرف وإنما كانت أعطياته أرزاق العمال أيام المنصور ٣٠٠ درهم ولم يزل الأمر على ذلك إلى أيام المأمون فكان أول من سن زيادة الأرزاق هو الفضل بن سهل .

## القضاء على عمه عبد الله بن علي

كان عبد الله يطمع في الخلافة بعد أبي العباس، ولما بويع المنصور لم يوافق على ذلك، فخرج على المنصور في بلاد الشام، فأرسل له المنصور جيشا بقيادة أبي مسلم الخراساني الذي استطاع إلحاق الهزيمة به، وهرب عبد الله، وبقي متخفيا، حتى ظفر به المنصور وسجنه، فمات في السجن.

## نهاية أبي مسلم الخراساني

بدأ الجو يصفو لأبى جعفر بعد هزيمة عمه " عبد الله في الشام إلا من الإزعاج الذي كان يسببه له أبو مسلم الخراسانى؛ وبسبب مكانته القوية في نفوس أتباعه، واستخفافه بالخليفة المنصور، ورفضه المستمر للخضوع له؛ فأبو مسلم يشتد يومًا بعد يوم، وساعده يقوى، وكلمته تعلو، أما وقد شم منه رائحة خيانة فليكن هناك ما يوقفه عند حده، وهنا فكر المنصور جديًا في التخلص منه، وقد حصل له ما أراد، فأرسل إلى أبى مسلم حتى يخبره أن الخليفة ولاه على مصر والشام، وعليه أن يوجه إلى مصر من يختاره نيابة عنه، ويكون اقرب من الخليفة وأمام عينيه وبعيدًا عن خراسان ؛ حيث شيعته وموطن رأسه، إلا أن أبا مسلم أظهر سوء نيته، وخرج على طاعة إمامه، ونقض البيعة، ولم يستجب لنصيحة أحد، فأغراه المنصور حتى قدم إليه في العراق، فقتله في سنة ١٣٧ هـ/ ٧٥٦ م، ولأن مقتل رجل كأبى مسلم الخراسانى قد يثير جدلا كبيرًا، فقد خطب المنصور مبينًا حقيقة الموقف، قال: "أيها الناس، لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تمشوا في ظلمة الباطل بعد سعيكم في ضياء الحق، إن أبا مسلم أحسن مبتدئًا وأساء معقبًا، فأخذ من الناس بنا أكثر مما أعطانا، ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره، وعلمنا من خبيث سريرته وفساد نيته ما لو علمه اللائم لنا فيه لعذرنا في قتله، وعنفنا في إمهالنا، فما زال ينقض بيعته، ويخفر ذمته حيث أحل لنا عقوبته، وأباح لنا في دمه، فحكمنا فيه حكمه لنا في غيره، ممن شق العصا، ولم يمنعنا الحق له من إمضاء الحق فيه". وهو من ابرز الخلفاء العباسيين ويعتبر المؤسس

الحقيقي للدولة العباسية وباني عزها وقوتها وهو أخو أبو العباس، ومن أهم أعمال الخليفة أبو جعفر المنصور في الدولة العباسية:

- القضاء على الثورات والاضطرابات الداخلية ونشر الأمن والاستقرار في إرجاء الخلافة
- بناء بغداد المدينة المدورة وجعلها عاصمة للخلافة العباسية
- تشجيعه لمجالس العلم والأدب وتقريبه للعلماء والأُدباء
- الاهتمام بالأمور المالية والإدارية للدولة وجعل الإدارة مركزية
- الاهتمام بالجيش وتسليحهُ تسليحاً جيداً

وكان في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور عدداً من القادة الأبطال أبرزهم معِن بن زائدة الشيباني، وهو القائد العربي المسلم الذي قضى على أعداء الدولة العربية الإسلامية العباسية.

**بناء بغداد**

بنى الخليفة أبو جعفر المنصور مدينة بغداد على شكل دائرة وأطلق عليها اسم مدينة السلام أو دار السلام وتم بناء المدينة في أربع سنوات من (١٤٩-١٤٥) على شكل دائرة يحيط بها سور يسمى السور الأعظم واربع بوابات البوابة الأولى تسمى باب الشام التي تقود إلى بلاد الشام والبوابة الثانية تسمى باب الكوفة التي تقود إلى محافظة الكوفة والبوابة الثالثة تسمى باب البصرة التي تقود إلى محافظة البصرة والبوابة الرابعة باب خراسان الذي يقود إلى الفارسيين أو دولة إيران وداخل المدينة كان هناك جامع المنصور الذي كان مربع الشكل ودواوين الحكومة ومساكن الناس

والجيش. ونشطت الحركة العلمية حيث وصلت الحضارة العباسية إلى أوج عظمتها فكان هناك عدداً من العلماء منهم الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي اشتهر بعلوم النحو وعلوم العروض (لمعرفة نظام الشعر وأوزانه) والقاضي أبو يوسف في علم الفقه والمسعودي في الجغرافية واليعقوبي ويبرز جابر بن حيان في الكيمياء وابتكروا الإسطرلاب لرصد حركة النجوم والكواكب وحنين بن إسحاق ومعظم من إفراد أسرته في اللغة والأدب وكان حنين يشرف على أهم مكتبة في عهد المأمون وهي مكتبة بيت الحكمة فأصبحت بغداد أكبر مركز علمي وثقافي آنذاك يقصدها طلاب العلم من مختلف أنحاء العالم للدراسة في مدارسها وجامعاتها مثل المدرسة المستنصرية.

## ثورة سُنباد

كان ممن غضب لمقتل أبى مسلم الخراسانى، رجل مجوسى اسمه "سُنباذ"، فثار والتف حوله الكثيرون من أهل" خراسان"، فهجموا على ديار المسلمين في نيسابور و"قومس "و"الري"، فنهبوا الأموال وقتلوا الرجال وسبوا النساء، ثم تبجحوا، فقالوا: إنهم عامدون لهدم الكعبة، فأرسل إليهم المنصور جيشًا بقيادة جمهور بن مرار العجلي، فهزمهم واستردّ الأموال والسبايا، ولا يكاد أبو جعفر يتخلص من "سنباد" سنة ١٣٧ هـ/ ٧٥٦ م، حتى واجه ثائرًا ينادى بخلع المنصور، إنه" جمهور بن مرار العجلي "قائد جيوش المنصور التي هزمت "سنباد."

## انقلاب جمهور بن مرار العجلي على المنصور

لما هزم "جمهور" سنباد، واسترد الأموال، كانت خزائن أبى مسلم الخراسانى من بينها، فطمع "جمهور"، فلم يرسل المال إلى الخليفة المنصور، بل ونقض البيعة ونادى بخلع المنصور، فماذا كان؟ أرسل المنصور القائد الشجاع "محمد بن الأشعث" على رأس جيش عظيم، فهزم "جمهورًا" الذي فر هاربًا إلى" أذربيجان"، وكانت الموقعة في سنة ١٣٧ هـ/ ٧٥٦ م.

## ثورات الخوارج

ثورات متتالية كانت تهدد الحياة وتحول دون الاستقرار والأمن في بداية حكم العباسيين. منها ثورات للخوارج الذين أصبحوا مصدر إزعاج للدولة العباسية. لقد خرج آنذاك" مُلَبَّد بن حرملة الشيباني "في ألف من أتباعه بالجزيرة من العراق، وانضم إليه الكثيرون، فغلب بلادًا كثيرة، إلى أن تمكنت جيوش المنصور بقيادة خازم بن خزيمة من هزيمته في سنة ١٣٨ هـ/ ٧٥٧ م. وتحرك الخوارج مرة ثانية في خلافة المنصور سنة ١٤٨ هـ بالموصل تحت قيادة "حسا بن مجالد الهمداني"، إلا أن خروجه هو الآخر قد باء بالفشل.

وواجه الخليفة المنصور العباسي ثورات منحرفة لطوائف أخرى، ففى سنة ١٤١ هـ/ ٧٥٩ م. واجه المنصور ثورة أخرى لطائفة من الخوارج يقال لها "الراوندية" ينتسبون إلى قرية "راوند" القريبة منأصفهان .إنهم يؤمنون بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن روح آدم انتقلت إلى واحد يسمى "عثمان بن نهيك" وأن جبريل هو الهيثم بن معاوية -رجل

من بينهم-، بل لقد خرجوا عن الإسلام زاعمين أن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو "أبو جعفر المنصور"، فراحوا يطوفون بقصره قائلين: هذا قصر ربنا. ولم يكن ينفع هؤلاء إلا القتال، فقاتلهم المنصور حتى قضى عليهم جميعًا بالكوفة.

## ثورة محمد النفس الزكية

من أخطر الثورات التي واجهت المنصور خروج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على، من سويقة المدينة (سويقة الثائرة( وكان من أشراف بنى هاشم علمًا ومكانة، وكان يلقب بـــ "النفس الزكية" فاجتمع العلويون والعباسيون معًا وبايعوه أواخر الدولة الأموية، وكان من المبايعين "المنصور" نفسه، فلما تولى الخلافة لم يكن له هم إلا طلب محمد هذا خشية مطالبته بطاعة هؤلاء الذين بايعوه من قبل، وهنا خرج "محمد" النفس الزكية بالمدينة سنة ١٤٥ هـــ/٧٦٣ م، وبويع له في كثير من الأمصار. وخرج أخوه "إبراهيم" بالبصرة، واجتمع معه كثير من الفقهاء، وغلب أتباعه على" فارس "و"واسط "و"الكوفة"، وشارك في هذه الثورة كثير من الأتباع من كل الطوائف.

بعث المنصور إلى " محمد النفس الزكية "يعرض عليه الأمن والأمان له ولأولاده وإخوته مع توفير ما يلزم له من المال، ويرد "محمد" بأن على المنصور أن يحكم بدين الله ولا يمكن شراء المؤمن بالمال. وكانت المواجهة العسكرية هي الحل بعد فشل المكاتبات، واستطاعت جيوش أبى

جعفر أن تهزم "النفس الزكية "بالمدينة وتقتله، وتم القضاء على أتباع إبراهيم في قرية قريبة من الكوفة وقتلهم.

## ثورة كافر خراسان

في سنة ١٥٠ هـ خرج أحد الكفرة ببلاد خراسان واستولى على أكثرها، وانضم له أكثر من ثلاثمائة ألف، وقتلوا خلقًا كثيرًا من المسلمين، وهزموا الجيوش في تلك البلاد، ونشروا الفساد هنا وهناك، فبعث أبو جعفر المنصور بجيش قوامه أربعون ألفا بقيادة "خازم بن خزيمة"، الذي قضى على هؤلاء الخارجين، ونشر الأمن والاستقرار في ربوع خراسان.

## بناء بغداد

رغب الخليفة أبو جعفر المنصور في بناء عاصمة جديدة لدولته بعيدة عن المدن التي يكثر فيها الخروج على الخلافة كالكوفة والبصرة، وتتمتع باعتدال المناخ وحسن الموقع، فاختار "بغداد" على شاطئدجلة، ووضع بيده أول حجر في بنائها سنة (١٤٥ هـ == ٧٦٢ م) واستخدم عددا من كبار المهندسين للإشراف على بنائها، وجلب إليها أعدادا هائلة من البنائين والصناع، فعملوا بجد وهمة حتى فرغوا منها في عام (١٤٩ هـ == ٧٦٦ م) وانتقل إليها الخليفة وحاشيته ومعه دواوين الدولة، وأصبحت منذ ذلك الحين عاصمة الدولة العباسية، وأطلق عليها مدينة السلام؛ تيمنا بدار السلام وهو اسم من أسماء الجنة، أو نسبة إلى نهر دجلة الذي يسمى نهر السلام. ولم يكتف المنصور بتأسيس المدينة على الضفة الغربية لدجلة، بل عمل على توسيعها سنة (١٥١ هـ = ٧٦٨ م) بإقامة مدينة أخرى على

الجانب الشرقي سماها الرصافة، جعلها مقرا لابنه وولي عهده "المهدي" وشيد لها سورا وخندقا ومسجدا وقصرا، ثم لم تلبث أن عمرت الرصافة واتسعت وزاد إقبال الناس على سكناها.

## نهضة اقتصادية :

مع اهتمام المنصور بالزراعة والصناعة وتشجيعه لأصحاب المهن والصناعات وتأمينه خطوط التجارة والملاحة فى الخليج العربى حتى الصين من خطر القراصنة الذين كانوا يقطعون طرق التجارة ويقتلون التجار، ويستولون على الأموال، وراح قُواده يؤدبون هؤلاء اللصوص. وكثيرًا ما يعود قواده من الغزو في البحر بالغنائم والأسرى حتى أنقطعت القرصنة بعد عام ١٥٣ هـ، ٧٧٠ م، ولقد تم في عهده إعادة فتح مدينة طبرستان عام ١٤١ هـ، ٧٥٩ م، في بلاد ما وراء النهر.

## العناية بالحدود

أعطى المنصور اهتماماً بالغاً بجهة الشمال؛ فأمر بإقامة التحصينات والرباطات على حدود بلاد الروم. وكانت الغزوات المتتابعة سبباً في أن ملك الروم راح يطلب الصلح، ويقدم الجزية صاغرًا سنة ١٥٥ هـ، ٧٧٢ م. وقام المنصور بحملة تأديبية على جزيرة قبرص في البحر الأبيض المتوسط، أثر قيام أهلها بمساعدة جيش الروم، ونقضهم العهد الذي أخذوه على أنفسهم يوم أن فتح المسلمون جزيرة قبرص.

## وفاة المنصور

ذهب الخليفة المنصور للحج عام ١٥٨ هـ، ٧٧٥ م، وكان ابنه محمد "المهدي" قد خرج ليشيعه في حجه، فأوصاه بإعطاء الجند والناس حقهم وأرزاقهم ومرتباتهم، وأن يحسن إلى الناس، ويحفظ الثغور، ويسدد دينًا كان عليه مقداره ثلاثمائة ألف درهم، كما أوصاه برعاية إخوته الصغار، وقال: إنني تركت خزانة بيت مال المسلمين عامرة، فيها ما يكفى عطاء الجند ونفقات الناس لمدة عشر سنوات. مرض المنصور في الطريق، ونزل قرية قد افرغها سيدها من اهلها وقرا على الجدار ا ابيات شعر فيها علامة على

## وفاته:

سنوك وأمر الله لابد واقع　　أبـا جـعـفر حـانت وفـاتـك وانقضت

لك اليوم من حر المنية مانع　　أبا جعفر هل كاهن أو منجم

وامر حاجبه الربيع بن يونس ان يدخل ويقرا فدخل ولم يجد شيئا ودخل خلفه المنصور فلم يجد شيئا وراح يتلمس الجدار الذي كان قد قرا عليه الابيات، فعلم في نفسه بوفاته وكتب لابنه المهدي بعض الوصايا. وقبل أن يدخل مكة توفي على أبوابها.

## بيت الحكمة

من الأعمال الجليلة التي تُذكر للمنصور عنايته بنشر العلوم المختلفة، ورعايته للعلماء من المسلمين وغيرهم، وقيامه بإنشاء "بيت الحكمة" في قصر الخلافة ببغداد، وإشرافه عليه بنفسه، ليكون مركزا للترجمة إلى اللغة

العربية. ولكن المؤسس الحقيقى لبيت الحكمة كمكتبة عالمية هو الخليفة العالم المأمون وفعل مثل ما فعل أبو جعفر المنصور وأبوه هارون الرشيد وقد أرسل أبو جعفر إلى إمبراطور الروم يطلب منه بعض كتب اليونان فبعث إليه بكتب في الطب والهندسة والحساب والفلك، فقام نفر من المترجمين بنقلها إلى العربية.

كانت فترة حكم المنصور توطيدًا لدعائم الدولة الجديدة، فقضى على الثورات المتلاحقة التي هددتها، وقتل أبو مسلم الخراساني مع كونه سبب حصول العباسيين على الخلافة خوفًا من امتداد نفوذه، وقضى على ثورة المدينة المنورة التي بايع أهلها محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية بالخلافة، وقضى على ثورات شبيهة فى البصرة وأواسط الأهواز.

كما قام بخلع ابن أخيه عيسى بن موسى من ولاية العهد بعد أن أستغله لسنوات في توطيد حكمه والقضاء على مخالفيه ويصفه الباحث عبد القادر عيّاش بالقول بأن أبو جعفر المنصور أعظم رجل من العباسيين شدة وبأسًا ويقظة وثباتًا، شحن الثغور والأطراق وأمن السبل وعرف بميله إلى الاقتصاد في النفقات حتى امتلأت خزائنه تاركًا لابنه المهدي ثروة جعلته ينفق في سعة .ومن الأعمال العمرانية الهامة التي ارتبطت به تشييده مدينة بغداد على نهر دجلة ونقله عاصمة الخلافة إليها، وظل مقيمًا بها إلى أن توفي في ٧ أكتوبر سنة٧٧٥ م، الموافق فيه ٦ دى الحجة سنة ١٥٨ هـ فى قصر الخلد الذى أشاده مقابل نهر دجلة ، أما على الصعيد الديني

فقد توفى خلال عهده الإمام أبو حنيفة النعمان مؤسس المذهب الحنفى لدى السنة .

وقد تلى المنصور في الخلافة ابنه محمد المهدي والذي اهتم بالخدمات الداخلية فنظم البريد والطرقات وأصلح الزراعة ونقل عن رفاه الشعب وعدالة القضاء الذي كان يرأسه بنفسه، كما نقل عن المهدي ورعه وميله للالتزام بالشريعة، والعناية بالفقراء وأصحاب الأمراض والمساجين في جميع أنحاء الدولة، ممهدًا بذلك بدء العصر الذهبي لسلالة آل العباس .

## أبو مسلم الخُراساني

هو عبد الرحمن بن مسلم الخراسانى صاحب الدعوة العباسية فى خراسان ، ومن ثم واليها، قيل أن اسمه إبراهيم بن خكّان وهو حسب الروايات واحد من أحفاد آخر الأكاسرة يزدجرد الثالث الذي بدوره تنبأ بعودة الحكم لأحفاده حيث لما تم إجلاء الفرس عن القادسية وبلغيزدجرد بن شهريار ما كان من وزيره رستم وإدالة العرب عليه وظن أن رستم قد هلك والفرس جميعا وجاء مبادرٌ وأخبره بيوم القادسية وانجلائها عن خمسين ألف قتيل، خرج يزدجرد هاربًا في أهل بيته ووقف بباب الايوان وقال: السلام عليك أيها الايوان ها أنا ذا منصرف عنك وراجع إليك، أنا أو رجل من ولدي لم يدن زمانه ولا آن أوانه.

## نشأته وبداية ظهور أمره

ولد أبو مسلم الخراساني سنة ١٠٠ هـ في ماه بالبصرة مما يلي أصبهان عند عيسى ومعقل ابني إدريس العجلي فربياه إلى أن شبّ فكان

غلاماً سراجاً واتصل أبو مسلم بعد ذلك بإبراهيم بن الإمام محمد من بني العباس وكان في خدمته إلى أن أرسله إلى خراسان داعية بعد أن لمس فيه إخلاصاً وحماساً وشجاعة وعلماً رغم حداثة سنه، فقام فيها واستمال أهلها ووثب على ابن الكرماني وَالِي نيسابور فقتله واستولى عليها. وسيّر أبو مسلم جيشًا لمقاتلة مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية فهزمه أبو مسلم وفرّ مروان إلى مصر فقُتل في بوصير وزالت الدولة الأموية سنة ١٣٢ هـ.

استمر أبو مسلم بعد ذلك في دعوته رغم موت الإمام، ووطأ المنابر للدولة العباسية، حتى قامت في١٣٢ هـ. التف حوله الفرس والموالي لإعتقادهم أنه من أحفاد آخر ملوك فارس، واقتربوا منه فأعجبوا بشخصيته وتبعوه على حداثة سنه. وكان بين القيسيةواليمانية في خراسان خلافٌ وفرقة فلما رأوا التفاف العجم حول أبي مسلم اتفقوا عليه لضرب دعوته في مهدها، وقد كادوا يفلحون لولا أن ضربهم أبو مسلم ببعضهم البعض مستخدماً دهاءه وحنكته. كانت هيبته كبيرة، وكان كريماً، زاحم موكبه في الحج موكب أبي جعفر المنصور فاتجه الناس إليه لكرمه فأسرها له أبو جعفر المنصور في نفسه وانتقم منه فيما بعد. كما أنه كان بليغاً قليل الكلام اذا قال أوجز وأعجز ، وإليه ينسب البيت:

عليك ليوث الغاب من كل جانب  محا السيف أسطار البلاغة وانتحى

قاله لما أحرق كتاب عبد الحميد الكاتب وكان قد كتب إليه أثناء حصاره لآخر الخلفاء الأمويين مروان بن محمد .يشبهه بعض المؤرخين بـ الحجاج بن يوسف الثقفي في كثرة القتل وسفك الدماء ففي حروبه ومعاركه أفنى خلقاً كثيراً وكان يأخذ الناس بالظنة وأجرى مذهب القتل فيمن خالف

سلطانه ولم يكن له صاحب أو مؤتمن كما كان لا يضحك ولا تبدو في وجهه علامات السرور.

## وفاته

ومع قيام الدولة العباسية ارتفعت مكانة أبو مسلم وكان محبوباً من أتباعه ومعظماً بينهم فخشي منه الخليفة أبو جعفر المنصور فاحتال لقتله بعد أن أمنه وقال لأهل خراسان عند ثورتهم لموت أبي مسلم قولته المشهورة:

"أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ولا تسروا غش الأئمة"

كانت حياة أبو مسلم قصيرة فقد قتل وهو يبلغ اثنا وثلاثون سنة أو خمسة وثلاثون، ولما مات أبو العباس السفاح في ذي الحجة سنة١٣٦ هـ خلفه أخوه أبو جعفر المنصور فرأى المنصور من أبي مسلم ما أخافه أن يطمع بالمُلك فاستشار بعض أصحابه فأشاروا عليه بقتله. فدبّر له المنصور مكيدة حتى قتله بروْمة المدائن سنة١٣٧ هـ وثارت لمقتله جماعة بزعامة (سنباذ) سنة١٣٧ هـ ولكن لم تلبث أن أخمدت ثورتهم. وقد عاش أبو مسلم الخرساني (٣٧ سنة) بلغ بها منزلة عظماء العالم حتى قال فيه الخليفة المأمون :أجلّ ملوك الأرض ثلاثة وهم الذين قاموا بنقل الدولة وتحويلها :الإسكندر وأردشير وأبو مسلم الخرساني. والمأمون هو ابن الخليفة من الجارية الفارسية مراجل .لذلك لابد من أن يُنسب له ما نسب آنفاً

# العصر الذهبى للدولة العباسية

**التأسيس : ٧٨٥ – ٨٤٧ م**

**سلاطين هذا العصر**

- هارون الرشيد
- المأمون
- المعتصم
- برامكة

**نكبة البرامكة :**

توفي محمد المهدي عام٧٨٥ م وأخذت البيعة لابنه موسى الهادي، غير أن حكمه لم يطل إذ توفي مسموماً عام ٧٨٦ مفسحًا المجال أمام أخيههارون الذي خلع عليه والده لقب "الرشيد" في أعقاب إحدى الغزوات التي انتصر فيها على البيزنطيين، لاستلام السلطة. اهتم هارون الرشيدبالإصلاحات الداخلية فبنى المساجد الكبيرة والقصور الفخمة وفي عهده استعملت القناديل لأول مرة في إضاءة الطرقات والمساجد، وتطورت العلوم خصوصًا الفيزياء الفلكية والتقنية، وابتكرت عدد من الاختراعات كالساعة المائية. اعتنى الرشيد أيضًا بالزراعة ومأسسة نظامها، فبنت حكومته الجسور والقناطر الكبيرة وحفرت الترع والجداول الموصلة بين الأنهار، وأسس ديوانًا خاصًا للإشراف على تنفيذ تلك الأعمال الإصلاحية، ومن أعماله أيضًا تشجيع التبادل التجاري بين الولايات وحراسة طرق التجارة بين المدن، وقد شيّد مدينة الواقفة قرب مدينة الرقةعلى ضفاف

الفرات لتكون مقرًا صيفيًا لحكمه، وقد نقل ابن خلكان أن الرشيد قد حجّ تسع مرّات وكان يصلي في اليوم مائة ركعة. راسل الرشيد شارلمان، إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة وينسب المؤرخون صداقة قامت بين الرجلين وتبادل الهدايا حتى قدّم الخليفةمفتاح القدس لشارلمان .كذلك فقد اهتم هارون الرشيد بالفتوح وتوسيع رقعة الدولة خصوصًا في القوقاز وآسيا الوسطى والأناضول، وقد سجّل عهده عام٧٨٢ م آخر محاولة عربية لفتح القسطنطينية، التي استمرت عصيّة على الفتح إلى أن استطاع السلطان العثماني محمد الثانيفتحها عام١٤٥٣ م.

خلال بداية خلافته، اعتمد الرشيد على البرامكة وعهد إلى يحيى البرمكي بالوزارات، مانحًا إياه صلاحيات مطلقة، واستمر الوضع على ما هو عليه حتى عام٨٠٥ م حين تخوّف الرشيد من امتداد نفوذهم وزيادة أموالهم وميل الناس إليهم، فصادر أموالهم وقتل قادتهم وسجن القسم الأكبر منهم. ويختلف المؤرخون في تصنيف علاقات هارون الرشيد النسائية، فبينما يجزم البعض أنه كان "زير نساء"، يرفض البعض الآخر هذه الفكرة.

توفى هارون الرشيد عام ٨٠٩ م فى خراسان وأخذت البيعة لابنه الأمين وفقاً لوصية والده التى نصت أيضاً أن يخلف المأمون أخاه الأمين، إلا أن الخليفة الجديد سريعًا ما خلع أخاه من ولاية العهد وعين ابنه موسى الناطق بالحق وليًا للعهد، وكان المأمون آنذاك في خراسان، فلما أخذ العلم بأن أخاه قد خلعه

عن ولاية العهد أخذ البيعة من أهالي خراسان وتوجه بجيش لمحاربة أخيه، وقد استمرت الحروب بينهما أربع سنوات، إلى أن استطاع المأمون محاصرة بغداد والتغلب على الأمين وقتله عام٨١٣ م، ظافرًا بالخلافة .

أما عن هارون الرشيدى كاحد السلاطين المهمين فى عصر الدولة العباسية نتحدث عنه بشئ من الإسهاب:

بو جعفر هارون بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور ١٤٩" هـ ١٩٣ - هـ"، الخليفة العباسي الخامس. ولد في مدينة الري عام ١٤٩ هـ "٧٦٦"وتوفي في مدينة طوس" مشهد اليوم" عام ١٩٣ هـ ."٨٠٩" بويع بالخلافة ليلة الجمعة التي توفي فيها أخوه موسى الهادي عام ١٧٠ هـ وكان عمره آنذاك ٢٢ سنة. وأمه الخيزران بنت عطاء وهي أم ولد يمانية جرشية .

يعتبر هارون الرشيد من أشهر الخلفاء العباسيين، وأكثرهم ذكرا حتى في المصادر الأجنبية كالحوليات الألمانية على عهد الامبراطور شارلمانالتي ذكرته باسم "ارون"، والحوليات الهندية والصينية التي ذكرته باسم "الون"، أما المصادر العربية فقد أفاضت الكلام عنه لدرجة أن اخباره قد امتزجت فيها حقائق التاريخ بخيال القصص، ولاسيما كتاب" ألف ليلة وليلة "التي صورته بالخليفة المسرف في الترف والملذات، وأنه لا يعرف إلا اللهو وشرب الخمور ومراقصة الغانيات. والواقع إن هذا الخليفة من خيرة الخلفاء فقد كان يحج عاماً ويغزو عاماً، وقيل أنه كان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات، ويتصدق بألف، وكان يحب العلماء، ويعظم

حرمات الدين، ويبغض الجدال والكلام، ويبكي على نفسه ولهوه وذنوبه، لا سيما إذا وعظ .وقد تم فتح الكثير من البلدان في زمنه، واتسعت رقعة الإسلام واستتب الأمن وعم الرخاء وكثر الخير بما لا نظير له ثم أن هذا الخليفة كان حسن السيرة والسريرة .

كذلك كان يصور بصورة الخليفة الحذر الذي يبث عيونه وجواسيسه بين الناس ليعرف أمورهم وأحوالهم، بل كان أحيانا يطوف بنفسه متنكرا في الأسواق والمجالس ليعرف ما يقال فيها .والواقع هذه الصورة المتباينة للرشيد ما هي الا انعكاس للعصر الذي عاش فيه بمحاسنه ومساوئه، وهو العصر العباسي الأول أو العصر الاسلامي الذهبي .وقد تميز عصره بالحضارة والعلوم والازدهار الثقافي والديني، كذلك ازدهار الفن والموسيقى. وأسس المكتبة الأسطورية بيت الحكمة في بغداد، وبدأت بغداد خلال فترة حكمه بالازدهار كمركز للمعرفة والثقافة والتجارة .

## حياته قبل الخلافة

في حكم هارون الرشيد ازدهرت مدينة بغداد وأصبحت مركز المعرفة، والثقافة والتجارة .

هارون الرشيد هو ابن الخليفة محمد المهدي من زوجته الخيزران بنت عطاءالتي كان لها نفوذ كبير في الدولة، ولد هارون عام ١٤٩ هـ٧٦٦" م "في مدينةالري التي أصبحت جزء من إقليم الجبال في فترة الخلافة العباسية "في الوقت الحاضر محافظة طهران، إيران ."وكان والده واليا على المدينة. تربى الرشيد مع أولاد الأمراء والقادة في الدولة

العباسية ومع إخوته بالرضاعة الفضل وجعفرأولاد يحيى البرمكي الذي صار له مكانة عظمى بالدولة العباسية، وفي عام ١٥١ هـ وبعد وفاة جعفر الابن الأكبر للخليفة أبو جعفر المنصورعادت أسر المهدي إلى بغداد، وقد أصبح المهدي واليا للعهد. وعاش الرشيد طفولة هادئة ومستقرة في ضل رعاية والده وجده، وكان ممن تولى تربيته وتعليمه عالم النحو علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي المعروف "الكسائي"، الذي ظل معه حتى وفاته ثم صار أيضا معلما لابن الرشيد محمد الأمين .كما تولى تربيته وتعليمه أيضا المعلم المفضل الضبي الذي صنف للمهدي كتاب" المفضليات."

في عام ١٥٨ هـ توفي أبو جعفر المنصور وأصبح المهدي في منصب الخلافة ودفع بابنه هارون للتدرب على الفروسية والرمي وفنون القتال، وقال محمد بن علي الخراساني: "الرشيد أول خليفة لعب بالصوّالجة والكرة، ورمي النشاب في البرجاس، وأول خليفة لعب بالشطرنج من بني العباس".

عندما أصبح هارون شابا يافعا عينه والده قائدا في الجيش الذي يضم العديد من القواد الكبار وأمراء الدولة وكان عمر هارون وقتها لا يتجاوز الخمس عشر عاما، وخرج الجيش عام ١٦٣ هـ إلى أراضي الروم وتوغل فيها وأظهر هارون براعة في قيادته وحاصر قلعة رومية اسمها "سمالوا" ثمانية وثلاثين يوما حتى انتهى الأمر بفتحها، وعاد الرشيد بالجيش سالما محملا بالغنائم فاستقبله أهل بغداد وكافأه المهدي بتوليته بلاد وأذربيجان وأرمينية .

وفي عام ١٦٥ هـ تزوج الرشيد ابنة عمه زبيدة بنت جعفر، وبعد الزواج بفترة قصيرة أرسله والده المهدي لقيادة جيشا اخر لغزو الروم، مكون من ٩٥,٧٩٣ رجلا. وصل جنود الرشيد خليج البحر المطل على القسطنطينية، وكانت حاكمتهم يومئذ أيرين زوجة أليون الملقبة "أغسطه"، وهي وصية العرش لأبنها قنسطنطين البالغ من العمر تسع سنوات، فطلبت الصلح من الرشيد بعد أن رأت القتل في الروم على أن تدفع له سبعين ألف دينار كل سنة، فقبل ذلك منها وأرسلت معه الهدايا لوالده الخليفة المهدي وتعاهدت مع الرشيد على هدنة ثلاث سنين.

عاد هارون من تلك الغزوة إلى بغداد وقد فرح المهدي بانتصار ابنه وأطلق عليه لقب الرشيد وأخذ له البيعة كولي للعهد بعد أخيه الأكبر موسى الهادي فأصبح هارون الرشيد ولي العهد الثاني

## ولاية العهد ومبايعة اخوه الهادي

كانت الخيزران تحب ابنها هارون وترغب في تقديمه على أخيه الهادي في ولاية العهد لما رأته فيه من بطولة وذكاء وحكمة بالرغم من كون الاثنين ولديها، ولأن الخليفة المهدي كان يحب الخيزران حبا كبيرا، فعزم على تنفيذ رغبتها ونقل ولاية العهد من ولده موسى الهادي إلى هارون الرشيد، فأرسل في طلب ولده الهادي للحضور لديه وكان مقيما في جرجان.

لكن الهادي علم أن أباه يريد خلعه من ولاية العهد فلم يتمثل لآمر أبيه وظل مقيما في جرجان، فغضب المهدي منه وجهز جيشا وتوجه إلى جرجان ومعه ابنه هارون الرشيد، لكنه توفي في ماسبذان.[١١]فصلى عليه

هارون ودفنه .وأرسل هارون إلى أخيه الهادي بخاتم الخلافة وهنئه بالخلافة وأخذ البيعة من الأمراء وقواد الجيش وعامة الشعب. وتسلم الهادي أمر الخلافة وتوجه إلى بغداد لممارسة مهام عمله وأخذ البيعة بنفسه وكان ذلك في عام ١٦٨ هـ .ولم تستمر مدة خلافته سوى سنة وثلاثة أشهر.

## محاولة الهادي لخلع هارون من ولاية العهد

لم ينازع الرشيد أخاه الهادي من توليه الخلافة ولم يدخل معه في صراع لأنه يعلم أن الصراع على السلطة والحكم معول هدم للخلافة الإسلامية التي سعى العباسيون إليها، إلا ان لأخيه الهادي أراد عزل الرشيد عن ولاية العهد وجعلها لأبنه جعفر من بعده، وهذا يتطلب تنازل الرشيد عن ولاية العهد ومبايعة الولي الجديد .

أصبح الهادي ينتقد تصرفات أخيه الرشيد في مجالسه ويبدي عدم رضائه عنه بل وطلب منه أكثر من مرة أن يتنازل عن ولاية العهد، فقد ذكر الطبري في تاريخه أن الهادي بعث إلى يحيى البرمكيوكان أشد المناصرين للرشيد ليلا ولك يشك يحيى أن الهادي سوف يقتله لذلك حتى أنه ودع أهله، وتحنط وجدد ثيابه، فلما أدخل عليه، قال له الهادي: يا يحيى، ما لي ولك! قَالَ: أنا عبدك يا أمير المؤمنين، فما يكون من العبد إلى مولاه إلا طاعته. قَالَ: فلم تدخل بيني وبين أخي وتفسده علي! قَالَ: يا أمير المؤمنين، من أنا حتى أدخل بينكما! إنما صيرني المهدي معه، وأمرني بالقيام بأمره، فقمت بما أمرني به، ثم أمرتني بذلك فانتهيت إلى أمرك، قَالَ:

فما الذي صنع هارون؟ قَالَ: ما صنع شيئا، ولا ذلك فيه ولا عنده فسكن غضب الهادي .

وسبب هذا الحوار أن الهادي قد علم أن يحيى البرمكي كان يشجع الرشيد على عدم التنازل عن ولاية العهد ولذلك تكرر تحذير الهادي له أكثر من مرة إلا أن يحيى البرمكي ظل معاونا للرشيد يشجعه على عدم التنازل عن ولاية العهد بعد أن رأى أن الرشيد لا يريد أن يدخل في صراع على السلطة والخلافة مع أخيه وانتهى الأمر بأن أصدر الهادي أمرا باعتقال يحيى البرمكي فظل في السجن حتى وفاة الهادي وأخرجته الخيزران ليكون الوزير المقرب من الرشيد.

## توليه الخلافة

بويع الرشيد بالخلافة ليلة الجمعة التي توفي فيها أخوه موسى الهادي ١٤" ربيع الأول ١٧٠ هـ ١٤ / سبتمبر ٧٨٦ م "وكان عمر الرشيد وقتها اثنتين وعشرين سنة،وكانت الدولة العباسية حين آلت خلافتها إليه مترامية الأطراف متباعدة تمتد من وسط آسيا حتى المحيط الأطلسي، معرضة لظهور الفتن والثورات، تحتاج إلى قيادة حكيمة وحاسمة يفرض سلطانها الأمن والسلام، وتنهض سياستها بالبلاد، وكان الرشيد أهلاً لهذه المهمة الصعبة في وقت كانت فيه وسائل الاتصال صعبة، ومتابعة الأمور شاقة.

بتولي الرشيد الحكم بدأ عصر زاهر كان واسطة العقد في تاريخ الدولة العباسية التي دامت أكثر من خمسة قرون، ارتقت فيه العلوم، وسمت

الفنون والآداب، وعمّ الرخاء ربوع الدولة الإسلامية، ولقد أمسك هارون الرشيد بزمام هذه الدولة وهو في نحو الثانية والعشرين من عمرهِ، فأخذ بيدها إلى ما أبهر الناس من مجدها وقوتها وأزدهار حضارتها.

أتخذ الرشيد يحيى البرمكي وزيره الأول، وأبنائه من خلفه، وفوض إليه أمر الرعية. وفي ذلك قال إبراهيم الموصلي:

فلما ولي هارون أشرق نورها ألم تر أن الشمس كانت سقيمة

فهارون واليها ويحيى وزيرها بيمن أمين الله هارون ذي الندي

أمر هارون يحيى بأن يشاور والدته الخيزران بكل شيء، فكانت هي المشاورة في الأمور كلها، فتبرم وتحل وتمضي وتحكم. ورزق الرشيد في يوم خلافته بابنه محمد الأمين من زوجته زبيدة .

## أعماله

أصدر الرشيد عند توليه الخلافة عفوا عاما أمن كل من كان هاربا أو مستخفيا عدا بعض الزنادقة .

كما استعمل الرقة عاصمة لهُ بين عامي ٧٩٩ و٨٠٠

وأنشأ بما يعرف ببيت الحكمة في بغداد وزودها بأعداد كبيرة من الكتب والمؤلفات من مختلف بقاع الأرض .وكانت تضم غرفًا عديدة تمتد بينها أروقة طويلة، وخُصصت بعضها للكتب، وبعضها للمحاضرات، وبعضها الآخر للناسخين والمترجمين والمجلدين. كما تمت في عهده أول ترجمة إلى العربية لأشهر كتاب علمي عرف في التاريخ وهو "كتاب الأصول "الأركان"

في الهندسة والعدد لإقليدس، وتطورت العلوم خصوصًا الفيزياء الفلكية والتقنية، وابتكرت عدد من الاختراعات كالساعة المائية .كما أنشيء في عهده أول مصنع للورق ببغداد سنة ٧٩٥ م وصار سوق الوراقين لاحقا الذي يضم مئات الحوانيت التي تبيع السلع الورقية الفاخرة مفخرة عاصمة العباسيين وكان ورق بغداد يقدر تقديرا عاليا في المنطقة حتى ان بعض المصادر البيزنطية تسمي الورق بصحف بغداد "Bagdatixon" في ربط مباشر بينه وبين مدينة بغداد

اهتم هارون الرشيد بالإصلاحات الداخلية فبنى المساجد الكبيرة والقصور الفخمة وفي عهده استعملت القناديل لأول مرة في إضاءة الطرقات والمساجد. اعتنى الرشيد أيضًا بالزراعة ومأسسة نظامها، فبنت حكومته الجسور والقناطر الكبيرة وحفرت الترع والجداول الموصلة بين الأنهار، وأسس ديوانًا خاصًا للإشراف على تنفيذ تلك الأعمال الإصلاحية، ومن أعماله أيضًا تشجيع التبادل التجاري بين الولايات وحراسة طرق التجارة بين المدن، وقد شيّد مدينة الواقفة قرب مدينة الرقة على ضفاف الفرات لتكون مقرًا صيفيًا لحكمه .

غدت بغداد قبلة طلاب العلم من جميع البلاد، يرحلون إليها حيث كبار الفقهاء والمحدثين والقراء واللغويين، وكانت المساجد الجامعة تحتضن دروسهم وحلقاتهم العلمية التي كان كثير منها أشبه بالمدارس العليا، من حيث غزارة العلم، ودقة التخصص، وحرية الرأى والمناقشة، وثراء الجدل والحوار. كما جذبت المدينة الأطباء والمهندسين وسائر الصناع. وكان الرشيد نفسه يميل إلى أهل الأدب والفقهوالعلم، حتى ذاع صيت الرشيد

وطبق الآفاق ذكره، وأرسلت بلاد الهند والصين وأوروبا رسلها إلى بلاطهِ تخطب وده، وتطلب صداقته.

## تصديه للفتن والثورات الداخلية

### إخماد ثورات الخوارج

ظهرت طائفة الخوارج أثناء القتال الذي جرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، واستمر خروج هذه الطائفة على خلفاء بني أمية وبني العباس, لكنهم لم يكونوا بالخطورة التي كانوا عليها في العصور السابقة أثناء عصر الرشيد لذلك سهل على الرشيد القضاء على ثوراتهم. كانت أول ثورة قام بها الخوارج قادها الفضل بن سعيد الحروري لكنه قتل بعد فترة وجيزة من خروجه. ثم الصحصح الخارجي بالجزيرة فتصدى له والي الجزيرة لكنه انهزم أمامه وسار الصحصح إلى الموصل فقاومه عسكر المدينة بباجرمي لكنهم لم يتمكنوا منه وعاد إلى الجزيرة, فأرسل له الرشيد جيشا لحقه بدورين فقتله وقضى على ثورته.

في سنة ١٧٨ هـ خرج الوليد بن طريف التغلبي بالجزيرة فدخل إلى أرمينية وحاصر مدينة خلاط عشرين يوما فافتدوا منه أنفسهم بثلاثين ألفا. ثم سار إلى أذربيجان ثم إلى أرض حلوان وأرض السواد ثم عبر إلى غرب دجلة وقصد مدينة بلد وافتدى أهلها منه بمائة ألف, وبقي في أرض الجزيرة فأرسل اليه الرشيد قائده يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني الذي واجه الوليد وانتصر عليه وقضى على ثورته وانتهت الأزمة بمقتل الوليد. في عام ١٧٩ هـ خرج حمزة بن أترك السجستاني وعظم أمره عام ١٨٥

هـــعندما عاث فسادا في بادغيس بخراسان فتصدى له عيسى بن علي بن عيسى وقتل الكثير من أعوانه وهرب حمزة إلى كابل .في سنة ١٩١ هـــ خرج ثروان بن سيف في سواد العراق فتصدى له طوق بن مالك أدى إلى فرار ثروان ولم يعد له من أثر يذكر .

## إنهاء الفتن الداخلية

ظهرت حركات استقلالية في دولة الخلافة ترغب في الاستقلال وتصدى لها الرشيد وقضى عليها. في سنة ١٧٨ هـــ قامت طائفة من قيس وقضاعة على والي مصر فقاتلوه فبعث لهم الرشيد هرثمة بن أعين فقاتلهم حتى أذعنوا له الطاعة وأدوا ما عليهم من الخراج, كذلك أخمد هرثمة فتنة قامت في أفريقيا بقيادة عبدويه الأنباري, وكان الفضل فيها يعود ليحيى البرمكي الذي كاتب عبدوية ووعده الأمان ان استجاب له فاستسلم عبدويه ووفى له يحيى بالأمان.

ظهرت بعض الفتن في عام ١٧٦ هـــ في الشام بين القبائل المضرية واليمانية ودامت المعارك بينهما دهرا طويلا فأرسل الرشيد جيشا أنهى تلك الفتنة عام ١٧٧ هـــ. في عام ١٨٥ هـــ خرج أبو الخصيب وهيب بن عبد الله النسائي واحتل أبيورد وطوس ونيسابور ثم هزم في مرو وخرج اليه علي بن عيسى بن ماهان وواجهه وقضى عليه عام ١٨٦ ه

## الرشيد والبرامكة

لما ولي هارون الرشيد الخلافة عرف ليحيى فضله عليه فاستوزره وزارة تفويض وهي الوزارة التي تستغني عن تواقيع الخليفة على عكس

وزارة التنفيذ التي يباشرها الخليفة بنفسه. قام يحيى البرمكيبإدارة شؤون الدولة خير قيام وكان يساعده في ذلك ولَداه الفضل وجعفر، أما الفضل فقد كان إداريا ماهرا وكانت مهارته في اخماد ثورة يحيى بن عبد الله العلوي دون أن يسفك دما كذلك كان كريما سخيا, وقد ولاه الرشيد بلاد المشرق "خراسان وطبرستان وأرمينيا وبلاد ما وراء النهر" قام الفضل هناك بأعمال انشائية عظيمة الشأن من حفر القنوات وبناء المساجد والزوايا فحسنت سيرته في تلك البلاد.

أما جعفر البرمكي وهو أصغر سنا من الفضل فقد ولاه الرشيد على الجزيرة والشام ومصر وأفريقية ,وكان محبوبا لدى الرشيد فاستبقاه في بغداد كي يكون قريبا منه وهذه الثقة الكبيرة التي أولاها الرشيد لجعفر البرمكي جعلت له نفوذا في الدولة .

أعطى الرشيد البرامكة سلطات واسعة وافسح لهم المجال في الاشراف على جميع مرافق الحياة العامة: في الإدارة والعلوم والفنون .

على الرغم من اهتمام المؤرخين بهذه الحادثة إلا أن أسبابها ودوافعها ظلت غامضة ومجهولة وأشار المؤرخون أمثال الطبري واليعقوبي وأبو الفداء والمسعودي أن سبب غضب الرشيد على البرامكة وسخطه عليهم أمر مختلف فيه، وقد ذكر المؤرخون العديد من الأسباب واختلفوا في تعليلها وأخذوا يرجحون بعضها على بعض .

الأقرب إلى الواقع أن نكبة البرامكة ترجع إلى حد كبير إلى ذلك الصراع الخفي الذي كان قائما بين حزبي العرب والعجم والذي ظل مستمرا

بعد ذلك أيام الأمين والمأمون .في عهد الرشيد يظهر الصراع بين العرب والعجم بوضوح حينما عهد إلى ابنه الأمين بولاية العهد من بعده سنة ١٧٥ هـ، وذلك تحت تأثير الحزب العربي الممثل في زوجته زبيدة بنت جعفر وحاجبه الفضل بن الربيع، وكان الأمين في الخامسة من عمره مما يدل على أنها كانت لها دلالة خاصة وهي ضمان الخلافة للعصبية العربية، ولم يرض الجانب الفارسي وعلى رأسه البرامكة بهذا الوضع فأخذوا يسعون لدى الرشيد حتى نجحوا في جعله يعهد إلى ولده المأمون بولاية العهد بعد الأمين سنة ١٨٢ هـ، على أن يتولى المأمون ولاية المشرق بعد وفاة أبيه بمعنى أن خلافة الأمين بعد وفاة والده تصبح على بلاد المشرق خلافة صورية والمعروف أن المأمون كان من أم فارسية ولهذا أيده البرامكة .

في سنة ١٨٦ هـ حج الرشيد ومعه ابناؤه الأمين والمأمون وهناك في البيت الحرام "أي الكعبة" أخذ عليهما المواثيق المؤكدة بأن يخلص كل منهما لأخيه وأن يترك الأمين للمأمون كل ما عهد اليه من بلاد المشرق، ثغورها وكورها وجندها وخراجها وبيوت أموالها وصدقاتها وعشورها وبريدها، وسجل الرشيد هذه المواثيق على شكل مراسيم وعلقها في الكعبة لتزيد في قدسيتها، ويؤكد تنفيذها كما كتب منشورا عاما بهذا المعنى للآفاق. وبذلك ضمن العرب الخلافة للعربي النسب والعجم بزعامة البرامكة ضمنوا الشرق لرجل أخواله عجم .

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل أخذ العرب يوغرون صدر الرشيد ضد البرامكة ويحذرونه من استبدادهم بالأمر وخلعهم له وصار الرشيد يتلقى

رقاعا غفلا من التوقيع تصور خطورة الحالة، أدت كثرة الدسائس إلى افزاع الرشيد وجعلته يشعر بأنه صار مغلوبا على أمره وأن البرامكة شاركوه في سلطانه بشكل أخل بتوازن الدولة وسلامتها مما اضطره إلى التخلص منهم، والعباسيون عموما كانوا حساسين من هذه الناحية السياسية ولهذا قتلوا كل من شكوا في اخلاصه .

عاقب الرشيد البرامكة جميعا وزج بهم في السجن وصادر أموالهم ومنع الشعراء من رثائهم وتوفي يحيى والفضل في السجن قبل وفاة الرشيد، أما سائر البرامكة فقد عفا عنهم الأمين بعد ذلك. وهكذا تنتهي نكبة البرامكة بانتصار العرب هذه المرة، وقد تولى الوزارة بعدهم الفضل بن الربيع نصير الحزب العربي كما تولى الرشيد أمور الحكم بنفسه حيث كان يتنقل في أرجاء دولته ويقود الجيوش ضد الثائرين وضد البيزنطيين .

يقول المؤرخ مصطفى جواد في موقفه من البرامكة :"لعل أغرب ما وهم فيه المؤرخون فعمى عليهم سبب تدمير هارون الرشيد للبرامكة أنهم عدوا بني برمك دعاة للعلويين، والمشكلة التاريخية إذا استبهم جانب منها تشعبت فيها الظنون واختلفت الآراء واضطربت الأحكام .ولو علم المؤرخون أن البرامكة تقربوا إلى الرشيد بالسعي على العلويين والسعي بهم وتبغيضهم لوجدوا إلى سبب تلك الفتكة الهامشية سبيلا، وعلى الجلية دليلا، وعلموا أنهم إنما حق عليهم العذاب ودمرهم الله تدميرا، بل وان السبب الحقيقي وراء قضاء هارون الرشيد عليهم، هو تدبيرهم لقتل موسى بن جعفر ، وولوغهم في دماء بني علي وطلبوا الزلفى بتعذيبهم وأعلوا مراتبهم بخفض العصبية الهاشمية واجتثاث الشجرة النبوية .ولقد جرؤوا

بإلحادهم وسوء سيرتهم أن جعفرهم حز رأس حبيسه العلوي عبد الله الشهيد بن الأفطس، في يوم النوروز وأهداه إلى الرشيد في طبق الهدايا، فلما رفعت المكبة من فوق الطبق ورأى الرشيد رأس بن عمه استعظم ذلك ، فقال له جعفر: ما علمت أبلغ في سرورك من حمل راس عدوك وعدو آباءك إليك. وكان الرشيد قد حبسه عند جعفر وأمره بأن يوسع عليه. وقال ذات يوم: اللهم أكفنيه على يد ولي من أوليائي وأوليائك. فلم يجد هذا الشقي الكفاية إلا بقتله صبرا لا سيف يذود به عن نفسه ولا بنو علي حوله يحوطونه ويكلآونه ولا شفيع يرد عنه بؤم الزنادقة، وهو الذي شهد وقيعة "فخ" متقلدا سيفين يذود بهما عن سيده. فلما أسر أخذه الرشيد وحبسه عند جعفر، فضاق صدره بالحبس، وكتب إلى الرشيد رقعة يشتمه فيها شتما قبيحا فلم يلتفت الرشيد إلى ذلك، لأنه عالم بالعزة العلوية والاستبسال الهاشمي، ولم يأمر إلا بالتوسع عليه والترفيه عنه فكان من أمره مع جعفر البرمكي ما كان" .

## سياسته الخارجية

### الامبراطورية البيزنطية

كانت علاقة الرشيد بالإمبراطورية البيزنطية علاقة حرب وعداء كما كانت على عهد أبيه وجده، ولقد واصل هارون الرشيد استكمال تحصينات ثغوره المتاخمة للدولة البيزنطية، وأقام منطقة جديدة بين شمال الجزيرة وشمال بلاد الشام أطلق عليها اسم منطقة العواصم وجعل قاعدتها مدينة منبج في شمال شرق حلب ورتب فيها جيشا دائما، كذلك أهتم بمنطقة

الثغور الشامية التي على الحدود بين آسيا الصغرى وسوريا فعمر فيها طرسوس وأضنة وعين زربه "تاورزا" كما أقام فيها حصونا جديدة مثل حصن الهارونية بين مرعش وعين زربه، اهتم الرشيد بمناطق الثغور وولى عليها ابنه الثالث أبا القاسم الملقب بالمؤتمن، كذلك اهتم الرشيد بتقوية الجيش العباسي حتى صار من أقوى جيوش العالم في ذلك الوقت ثم وجه الحملات المتكررة على المواقع البيزنطية في آسيا الصغرى .

كانت شهرة هارون الرشيد قبل الخلافة تعود إلى حروبهِ ضد الروم، فلما ولي الخلافة استمرت الحروب بينهما، وأصبحت تقوم كل عام تقريباً. وأضطرت دولة الروم أمام ضربات الرشيد المتلاحقة إلى طلب الهدنة والمصالحة، فعقدت إيريني ملكة الروم صلحاً مع الرشيد، مقابل دفع الجزيةالسنوية له في سنة ١٨١ هـ، وظلت المعاهدة سارية حتى نقضها إمبراطور الروم نقفور الأول، الذي خلف إيريني في سنة ١٨٦ هـ ، كتب إلى هارون :"من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب، أما بعد فإن الملكة إيريني التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ "القلعة في الشطرنج"، وأقامت نفسها مقام البَيْدق "الجندي في الشطرنج"، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقًا بحمل أمثالها إليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وأفتدِ نفسك بما يقع به المبادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك".

فلما قرأ هارون هذه الرسالة غضب غضبًا شديدًا ورد عليها برسالة مماثلة قال فيها : "من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، والجواب ما تراه دون ما تسمعه، والسلام" .خرج هارون الرشيد على رأس

جيش كبير بلغ تعداده ١٣٥ ألفا سوى الاتباع والمطوعة وتوغل في آسيا الصغرى حتى وصل هرقلة عاصمة كورة بيثينيا فحاصرها واستولى عليها عنوة سنة ٨٠٦ م وأعقب ذلك توجيه حملات متلاحقة بقيادة كبار قواده أمثال داود بن عيسى وشراحيل بن معن بن زائدة ويزيد بن مخلد، هزمت جيوش البيزنطيين ودمرت حصونهم واضطر الامبراطور نقفور أن يتناسى خطابه ويعترف بهزيمته ويتعهد بدفع الجزية من جديد وفي ذلك يقول الطبري: "وبعث نقفور إلى الرشيد بالخراج والجزية عن رأسه وولى عهده وبطانته وسائر أهل بلده خمسين ألف دينار منها عن رأسه اربعة دنانير وعن رأس ابنه استبراق "هوستوراكيوس" بدينارين كما تعهد بان لا يعيد ترميم الحصون التي دمرها الرشيد".

ويبدوا أن الضربات التي وجهها الرشيد إلى الدولة البيزنطية كانت عنيفة وحاسمة بدليل أنها لم تحاول الاستفادة بعد ذلك من الفتنة التي دبت بين الأمين والمأمون في استعادة ما فقدته في عهد الرشيد .

الامبراطورية الرومانية المقدسة

اشتهرت شخصية الرشيد في أوروبا نتيجة لعلاقته الودية مع امبراطور الدولة الرومانية المقدسة شارلمان ٨١٤ - ٧٦٨" م"، بودلت بينهما السفارات، والبعثات الدبلوماسية المتنوعة كما وردت في الحوليات الملكية الكارولنجية "Carolingian Royal Annales" في المدة التي بين ٧٩٧ – ٨٠٦ م، أرسل شارلمان ثلاث سفارات مختلفة إلى البلاط العباسي في بغداد وفي المقابل أرسل الرشيد بعثتان تجاريتان على الأقل إلى أوروبا ,ففي عام ٨٠١ م وصلت أولى البعثات العباسية

إلى بيزا بشمال إيطاليا تبعتها سفارة ثانية إلى آخن بألمانيا ولا شك أن المصالح السياسية كانت وراء هذا التفاهم الودي بين الملكين, فقد أراد شارلمان من وراء هذا الحلف أن يضعف من نفوذ امبراطور الدولة البيزنطية، واستغل الرشيد هذا الحلف ضد أعدائه البيزنطيين والأمويين في الأندلس على السواء كانت تلك البعثات المتبادلة بين الملكين مرفقة عادة بالهدايا الوافرة وقد اختار شارلمان المنتجات القيمة من أقمشة ملكية فاخرة وأرسلها مع سفرائه إلى الرشيد, أراد شارلمان توسيع صادرات الأقمشة من فرنسا إلى أراضي الدولة العباسيةوبالتالي تعزيز التجارة في مملكته, ورد عليها الرشيد بأن أرسل إلى شارلمان عطورا وأقمشة وفيلا ولوحة شطرنج وساعة مائية, كما عرض عليه الخليفة أن يكون حاميا للأماكن المسيحية المقدسة في بيت المقدس

## ساعة الرشيد وشارلمان

يذكر أن الساعة المائية التي أرسلها الرشيد إلى شارلمان مصنوعة من النحاس الأصفر بارتفاع نحو أربعة أمتار وتتحرك بواسطة قوة مائية وعند تمام كل ساعة يسقط منها عدد من الكرات المعدنية يتبع بعضها البعض الاخر بحسب عدد الساعات فوق قاعدة نحاسية فتحدث رنينا جميلا في أنحاء القصر الامبرطوري كانت الساعة مصممة بحيث يفتح باب من الأبواب الاثني عشر المؤدية إلى داخل الساعة ويخرج منه فارس يدور حول الساعة ثم يعود إلى المكان الذي خرج منه وعندما تحين الساعة الثانية عشر يخرج اثنا عشر فارسا مرة واحدة يدورون دورة كاملة ثم يعودون من حيث أتوا وتغلق الأبواب خلفهم، أثارت الساعة دهشة الملك

وحاشيته, واعتقد الرهبان أن في داخل الساعة شيطان يسكنها ويحركها, وجاؤوا إلى الساعة أثناء الليل، واحضروا معهم فؤوسا وحطموها إلا أنهم لم يجدوا بداخلها شيئا سوى آلاتها، وقد حزن الملك شارلمان حزنا بالغا واستدعى حشدا من العلماء والصناع المهرة لمحاولة إصلاح الساعة واعادة تشغيلها, لكن المحاولة فشلت, فعرض عليه بعض مستشاريه أن يخاطب الخليفة هارون الرشيد ليبعث فريقا عربيا لإصلاحها فقال شارلمان " انني أشعر بخجل شديد أن يعرف ملك بغداد أننا ارتكبنا عارا باسم فرنسا كلها"

غير أن السفارات المتبادلة بين الرشيد وشارلمان قد ذكرت في المصادر الأوروبية فقط, ويرجع بعض المؤرخين الأوروبيين أمثال بارتولد وبروكلمان أن بعض التجار العراقيين الذين ذهبوا إلى مدينة اكس لاشابيل "آخن "قاعدة شارلمان انتحلوا صفة السفراء الناطقين باسم الرشيد لدى شارلمان من غير تفويض, ولهذا لم يرد ذكرهم في المراجع العربية, وكان اعتماد الجانبين في أداء هذه المهام الدبلوماسية على العلماء والفقهاء في أغلب الأحيان .

## المغرب والأندلس

أما عن سياسة الرشيد نحو المغرب والأندلس فكانت تقوم على سياسة الاعتراف بالأمر الواقع في تلك البلاد وعدم الخوض في مغامرات غير مأمونة العواقب كما فعل أبوه المهدي وجده المنصور ولهذا اكتفى بمحالفة جارهم القوي شارلمان ,كما أقام في أفريقية دولة مستقلة في نطاق التبعية

للخلافة العباسية وهي دولة الأغالبة التي كانت بمثابة ثغر عباسي أو دولة حاجزة لحماية أطرافه الغربية من أخطار الخوارج ,والأدارسة، والأمويين فضلا عن البيزنطيين، ولم يلبث إبراهيم بن الأغلب مؤسس هذه الدولة أن شرع في بناء مدينة جديدة على بعد ثلاثة أميال نوبي القيروان سماها العباسية وجعلها قاعدة لامارته سنة ٨٠٠ م - ١٨٣ هـ .

**أسرته**

تزوج الرشيد زبيدة بنت جعفر وهي ابنة عمه ورغم أن الرشيد قد تزوج أكثر من امرأة إلا أن زبيدة كانت المتربعة على عرش قلبه, ومن زوجاته أيضا أمة العزيز وأم محمد ابنة صالح المسكين بنت عمه سليمان بن أبي جعفر وتزوج أيضا ابنة عبد الله التي تعود بالنسب إلى عثمان بن عفان وتلقب الجرشية لأنها ولدت بجرش باليمن, ومن زوجاته أيضا عزيزة بنت صالح وهي بنت خاله أخو أمه الخيزران. هذا بخلاف الجواري ملك اليمين، حيث كان وجود الجواري والحظايا أمرا معروفا في ذلك الوقت وخاصة عند الملوك والأمراء وكبار القوم .

ولد لهارون الرشيد عشرة أبناء واثنتا عشر بنتا أما، الأبناء فهم :محمد الأمين من زوجته زبيدة ,وعبد الله المأمون من جارية فارسية اسمها مراجل,والقاسم بن الرشيد وأمه قصف ,وأبو إسحاق محمد المعتصم بالله ووالدته تركية اسمها ماردة خاتون, و أحمد السبتي وعلي من زوجته

أمة العزيز, وصالح من جارية اسمها رثم ومحمد أبو يعقوب ومحمد أبو عيسى ومحمد أبو العباس ومحمد أبو علي وهؤلاء من أمهات أولاد.

أما بنات الرشيد فهن: سكينة أخت القاسم، وأم حبيبة أخت المعتصم من ماردة خاتون, وأروى وأم الحسن وحمدونة وفاطمة وأمها عفص, وأم سلمة وخديجة وأم القاسم رملة وأم علي وأم الغالية وريطة وكلهن من أمهات أولاد

## اهتمامه بالعلماء والأدباء

كان الرشيد مثقفا ثقافة عربية واسعة وكان يملك أدبا رفيعا وتذوقا للشعر واللغة لذلك قيل: كان فهم الرشيد فهم العلماء. وكانت مجالسه تملأ الشعراء والعلماء والفقهاء والأطباء والموسيقيين ,وكان كثيرا ما يناقش العلماء والأدباء, كذلك كان ينقد الشعر والشعراء. كان يقول: " البلاغة التباعد عن الاطالة, والتقرب من معنى البغية, والدلالة بالقليل على المعنى" قال عنه الذهبي :"و كان يحب العلماء, ويعظم حرمات الدين, ويبغض الجدال والكلام, ويبكي على نفسه ولهوه وذنوبه لاسيما اذا وعظ" .

ويقول الخطيب البغدادي :"و كان يحب الفقه والفقهاء, ويميل إلى العلماء" ,ومن أشهر الأدباء الذين عاصروا الرشيد وحضروا مجالسه الشاعر الكبير أبو العتاهية وأبو سعيد الأصمعي .ومن علماء الدين الذين عاشوا في عصره الامام الشافعي صاحب المذهب الشافعي والامام مالك بن أنس صاحب المذهب المالكي في الفقه الذي التقى بالرشيد حين قصد الخليفة منزله بالمدينة المنورة وقرأ عليه الامام كتاب الموطأ وعلى الصعيد

العلمي دعم الرشيد عالم الكيمياء المشهور جابر بن حيان وأسس وتلامذته منهج التجربة في العلوم .

كان العلماء يبادلونه التقدير، روي عن الفضيل بن عياض أنه قال: "ما من نفس تموت أشد علي موتا من أمير المؤمنين هارون ولوددت أنالله زاد من عمري في عمره"، فقال في ذلك أحد أصحاب الفضيل : "فكبر ذلك علينا فلما مات هارون الرشيد وظهرت الفتن وكان من ذلك في عهد المأمون عندما حمل الناس على القول بخلق القرآن قلنا الشيخ كان أعلم بما تكلم".

## خاتمة الرشيد

كان الرشيد رغم كل هذه الأعمال العظيمة التي قام بها يشعر في قرارة نفسه بقلة الحيلة أمام المنافسات والتيارات الخفية في داخل مملكته وأن نكبة البرامكة لم تكن حلا للموقف، فهناك ولداه الأمين والمأمون يضمران النقمة لبعضهما البعض، ومن ورائهما حزبا العرب والعجم ينتظران خاتمة الرشيد ليستأنفا نضالهما من جديد، لذلك كان الرشيد في أواخر أيامه وحيدا حزينا يخفي علته عن الناس، إذ يؤثر عنه أنه كشف عن بطنه لأحد أصدقائه فاذا عليها عصابة من حرير ثم قال له: " هذه علة اكتمها عن الناس كلهم وكل واحد من ولدي علي رقيب وما منهم أحد الا وهو يحصي أنفاسي ويستطيل دهري" و اشتدت العلة بالرشيد وهو في طريقه إلى خراسان للقضاء على ثورة رافع ابن الليث وتوفي بمدينة طوس "مشهد الحالية في شمال شرق إيران" ودفن بها في جمادى الآخر في سنة ١٩٣ هـ ٨٠٩ / م"

ذكر العلامة سالم الآلوسي، أن الرئيس أحمد حسن البكر في بداية حكمه، طالب إيران باسترجاع رفات الخليفة هارون الرشيد، كونه رمز لبغداد في عصرها الذهبي، وذلك بدعوة وحث من الأستاذ عبد الجبار الجومرد الوزير السابق في عهد عبد الكريم قاسم، ولكن إيران امتنعت، وبالمقابل طلبت استرجاع رفات الشيخ عبد القادر الكيلاني، لكونه من مواليد كيلان إيران، وعندها طلب الرئيس من العلامة المؤرخ مصطفى جواد بيان الامر، فاجاب مصطفى جواد :أن المصادر التي تذكر أن الشيخ عبد القادر مواليد كيلان إيران، مصادر تعتمد رواية واحدة وتناقلتها بدون دراسة وتحقيق، اما الأصوب فهو من مواليد قرية تسمى جيلان "العراق" قرب المدائن، ولا صحة في كونه من إيران أو ان جده أسمه جيلان، وهو ما أكده العلامة حسين علي محفوظ في مهرجان جلولاء الذي أقامه اتحاد المؤرخين العرب وكان حاضرا الآلوسي أيضا سنة ١٩٩٦، وفعلا اخبرت الدولة الإيرانية بذلك ولكن بتدخل من دولة عربية أغلق الموضوع .ويرى عدد من المؤرخين والمستشرقين أن قبر هارون الرشيد ما زال موجودا، ويسمى بالهارونية في طوس "مشهد" وهو ليس مدفون مع ضريح علي بن موسى الرضا "رض"، ولكن قبره هو مايسمى اليوم ضريح ابن سينا

## الرشيد في ألف ليلة وليلة

في معظم حكايات " ألف ليلة وليلة " يقدم إلينا الخليفة العباسي هارون الرشيد في صورة الأمير الضجر الذي يطلب السلوى فيأتيه وزيره جعفر البرمكي ببعض رواة العصر وسمّاره، مثل الأصمعي وأبي نواس وإسحاق

الموصلي، يروون له أغرب ما سمعوا أو شهدوا من القصص والأخبار، أو يدفعه الأرق إلى التماس السلوى بالطواف ليلاً في أنحاء العاصمة العباسية، وتفقد أحوال الرعية.

وعندئذ يقدم إلينا الرشيد وقد تنكر في زي التجار، وتنكر معه بعض رفاق سمره وضجره الذين يلازمونه، مثل وزيره جعفر وسيافه مسرور ومغنيه إسحاق وغيرهم، وعندئذ يطوف الجميع معاً أحياء بغداد، فتسوقهم المقادير إلى بقعة أو منزل يقعون فيه على أغرب المشاهد، ويسمعون أغرب القصص والروايات.

ومن القصص التي نسبت إلى عصر الرشيد قصة السندباد البحري الشهيرة وسفراته السبع. أما القصص التي اتخذ لها الرشيد بطلاً فهي عديدة منها قصة "قوت القلوب" الجارية الحسناء التي شغف بها الرشيد، ومنها قصة الرشيد مع خليفة الصياد، وقصته مع البنت العربية التي أنشدت أبياتاً أعجب بها، ثم طلب منها تغيير القافية واستبقاء المعنى، فغيرتها مراراً في مقطوعات عجيبة فأعجب بها وتزوجها.

وثمة طائفة أخرى من القصص لا يبدو فيها الرشيد بطل القصة الأصلي، ولكنه يكتشف هذا البطل أثناء طوافه في أحياء بغداد، ومن هذه القصص قصة الشاب العماني الذي أضاع ثروته على الغواني وقصة محمد بن علي الجوهري. وفي مناسبات أخرى يستمع الرشيد إلى سمّاره وندمائه مثل الأصمعي وإسحاق حتى يصيبه الأرق.. وهكذا نجد الرشيد في "ألف ليلة وليلة" بطلاً من أبطال القصة، أسبغت عليه الصفات المبهرة والتي أسبغت على أبطال "ألف ليلة وليلة" الخياليين.

في معظم هذه القصص نرى شخصية الرشيد تحتفظ بكثير من صفاتها التاريخية المعروفة من الجود والتواضع والنبل والفروسية وشغف البذخ والتقى والورع وحب العلماء والعلم وغيره مما تؤيده المصادر التاريخية الحقة، بيد أن طائفة أخرى من الوقائع والصفات المبتكرة نسبت إلى الرشيد لكي تستكمل صورة بطل القصة الحقيقي.

والحق أن كتاب "ألف ليلة وليلة" قد أسبغ على هارون الرشيد وعصره روعة وشهرة وبهاء لم تزده القرون إلا تخليداً ورسوخاً، وقد أثرت هذه الصورة في الآداب الغربية التي ترجم إلى لغاتها الكتاب، حيث بات هارون الرشيد أشهر الخلفاء المسلمين على الإطلاق في الغرب الذي تعرّف إليه من خلال قصص "ألف ليلة وليلة"

# عهد الخليفة المأمون

هو عبد الله بن هارون الرشيد سابع خلفاء بنى عباس ولد عام ١٧٠ هـ وتوفى غازياً فى عام ٢١٨ ه بطرطوس شهد عهده ازدهارا بالنهضة العلمية والفكرية في العصر العباسي الأول وذلك لأنه شارك فيها بنفسه

توفى هارون الرشيد عام ٨٠٩ م فى خراسان وأخذت البيعة لابنه الامين وفقاً لوصية والده التى نصت أيضاً أن يخلف المأمون أخاه الأمين . إلا أن الخليفة الجديد سريعا ما خلع أخاه من ولاية العهد وعين ابنه موسى الناطق بالحق وليا للعهد، وكان المأمون آنذاك في خراسان، فلما علم بأن أخاه قد خلعه عن ولاية العهد أخذ البيعة من أهالي خراسان وتوجه بجيش لمحاربة أخيه، وقد استمرت الحروب بينهما أربع سنوات، إلى أن استطاع المأمون محاصرة بغداد والتغلب على الأمين وقتله عام٨١٣ م، ظافرا بالخلافة .

تفرد عهد المأمون بتشجيع مطلق للعلوم من فلسفة وطب ورياضيات وفلك واهتمام خاص بعلوم اليونان، وقد أسس الخليفة عام٨٣٠ م جامعة بيت الحكمة في بغداد والتي كانت من كبريات جامعات عصرها، واخترع في عهده الاسطرلاب وعدد من الآلات التقنية الأخرى، وحاول العلماء قياس محيط الأرض ما يدل على الاعتراف بكرويتها من ناحية وتطور العلوم من ناحية ثانية؛ وقد تكون عمليات الترجمة التي رعاها هو وحاشيته وولاته، أبرز سمات عهده، إذ نقلت خلالها العلوم والآداب السريانية والفارسية واليونانية إلى العربية، اكتسبت من خلاله اللغة

العربية مكانة مرموقة إذ تحولت من لغة شعر وأدب فحسب إلى لغة علم وفلسفة .وكذلك فقد ساهمت عمليات الترجمة في إرساء منسوب ثقافي عال في الدولة، ثم عهد بولاية العهد قسطاً من الزمن لعلي الرضا وأخذ الشعار الأخضر بدلا من الشعار الأسود، ثم عاد إلى شعار بني العباس الأسود وعين أخاه وليا للعهد. وزار المأمون مصر ودمشق والجزيرة السورية وتوفى ودفن بطرطوس شمال بلاد الشام فى ١٠ أغسطس سنة ٨٣٣ م الموافق فيه ١٩ رجب سنة٢١٨ هـ وأخذت البيعة لأخاه محمد المعتصم بالله، واستمرت عمليات الترجمة والنهضة العلمية في عهده كما افتتحها سلفه المأمون

## قبل الخلافة :

عبد الله المأمون بن هارون الرشيد ولد سنة ١٧٠ هـ ٧٨٦ م في اليوم الذي ولي فيه والده الخلافة، وكانت أمه فارسية اسمها مراجل وقد ماتت في نفاسها به .ولاه والده ولاية العهد وهو في الثالث عشرة من عمره بعد أخيه الأمين، وضمه إلى جعفر بن يحيى وولاه خراسان وما يتصل بها إلى همذان، ومنحه بمقتضى الشروط التي عقدها استقلالا يكاد يكون تاما.

كان هارون الرشيد قد عهد بولاية العهد للأمين وللمأمون من بعده، ففي سنة ١٨٦هـ، حج الرشيد ومعه ابناؤه الأمين والمأمون وهناك في البيت الحرام أخذ عليهما المواثيق المؤكدة بأن يخلص كل منهما لأخيه وأن يترك الأمين للمأمون كل ما عهد إليه من بلاد المشرق، ثغورها

وكورها وجندها وخراجها وبيوت أموالها وصدقاتها وعشورها وبريدها، وسجل الرشيد هذه المواثيق على شكل مراسيم وعلقها في مبنى الكعبة لتزيد في قدسيتها، ويؤكد تنفيذها كما كتب منشورا عاما بهذا المعنى للآفاق. وبذلك ضمن العرب الخلافة للعربي النسب والعجم بزعامة البرامكة ضمنوا الشرق لرجل أخواله عجم

## الخلاف بين الأمين والمأمون

بدأ النزاع على شكل مراسلات وسفارات متبادلة بين الأخوين حول مشكلة العهد المعلق في الكعبة، فالمأمون يرى التمسك بنصوص هذا العهد الذي يقضي بالاستقلال بشؤون خراسان خلال حكم أخيه الأمين، أما الأمين فيرى نفسه خليفة للمسلمين ويستطيع التصرف في أمور خراسان كما تقضي بذلك المصلحة العامة وأن النص على ولاية المأمون لخراسان لا يعني استقطاع هذه الولاية من الخلافة نهائيا بل ينبغي أن يكون للخليفة شيء من النفوذ وذلك بأن يضع على خراسان بريدا، لهذا طالب الأمين بوضع نظام للبريد تابع له في خراسان لكن المأمون رفض .

ولاشك أن مطامع رجال الحاشية في بلاط كل من الأمين والمأمون كانت من العوامل التي زادت في اتساع الخلاف بين الأخوين، فالفضل بن الربيع ينصح الأمين بأن يستدعي أخاه المأمون إلى بغداد حتى يظفر به كرهينة ويفصل بينه وبين جنده، والفضل بن سهل يوعز إلى المأمون بالاعتذار عن الذهاب إلى بغداد بحجة أن أمور خراسان تستدعي البقاء فيها، وهنا طلب الأمين من المأمون أن يتنازل له عن بعض كور خراسان

بحجة أن مال خراسان يكفيها، أما مال العراق فلا يكفيها، إلا أن المأمون رفض ذلك الطلب. وغضب الأمين من رفض المأمون لمطالبه وأرسل إليه رسالة يخيره فيها بين الاذعان لشروطه أو التعرض لنار لا قبل له بها، ولكن المأمون لم يأبه لهذا التهديد ورد عليه بأنه لايخشى في الحق لومة لائم.

فشلت المفاوضات السلمية التي كانت قائمة بين الأمين والمأمون، مما جعل الطرفين يلجئان للحرب، ففي أوائل سنة ١٩٥ هـ أمر الأمين بوقف الدعاء للمأمون وأعلن البيعة لابنه موسى ولقبه بالناطق بالحق، ونقش اسمه على السكة وكان هذا بمثابة خلع المأمون، ثم بعث من سرق الكتابين بالكعبة وحرقهما، وأمام هذا الإعلان رأى المأمون أن يستعد للحرب فجهز جيشا كبيرا وحشده على حدودخراسان في منطقة الري، وولى عليه قائدين من أتباعه المخلصين وهما طاهر بن الحسين، وهرثمة بن أعين الذي يرجع إليهما الفضل في اعداد جيش المأمون اعدادا قويا، أما الأمين فقد اختار علي بن عيسى بن ماهان أحد كبار رجال الدولة الذي كان واليا على خراسان في عهد الرشيد، تقدم بن ماهان نحو الري لقتال طاهر بن الحسين دون أن يستعد له استعدادا كافيا وذلك لأنه كان يستهين بشأن طاهر لحداثته.

وانتهت المعركة بانتصار جيش طاهر بن الحسين ومقتل علي بن عيسى بن ماهان سنة ١٩٥ هـ، أرسل الأمين جيوشا أخرى عديدة إلى الري ولكن مصيرها كان الهزيمة وقد استنفذت هذه الجيوش موارد الأمين

فلم يستطع تحريك جيوش أخرى وهنا تحولت الحرب من مداخل خراسان إلى مداخل العراق.

## حصار بغداد

تقدم الجيش الخراساني نحو بغداد، حيث اتفق طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين على أن يقوم الأول بمهاجمة بغداد من الغرب بينما يهاجمها الثاني من ناحية الشرق، وتقدم الجيشان حتى بلغا أرباض بغداد حيث حدثت معارك مختلفة بين قوات الأمين وقوات المأمون ولم يكن جيش الأمين قويا كما لم يكن قواده في حالة معنوية عالية، وحدث أن استمالت قوات المأمون بعض قادة جيش الأمين بالهدايا والهبات فانضموا إليه واحدا بعد الآخر

غير أن الذين أبلوا في هذا الحصار هم أهل بغداد وبالأخص "جماعة العيارين" أو الفتيان وهي مجموعة من مختلف الطوائف والمذاهب الإسلامية المختلفة ومن الأغنياء والفقراء، إلا أن الغالبية العظمى كانوا من الطبقة الكادحة الفقيرة. ولقد دافع العيارون عن بغداد ببسالة نادرة وضربوا أمثلة رائعة في الصمود والشجاعة، وعلى الرغم من مقاومة هذه المجموعة، فقد استطاعت جيوش المأمون أن تضرب حصارا على حول بغداد، فاشتد الجوع بالأهالي لدرجة أن الأمين صرف كل ما لديه من أموال على جنوده واضطر إلى طلب الأمان والتسليموفضل الأمين أن يسلم نفسه للقائد هرثمة لكبر سنه من جهة ولقسوة طاهر بن الحسين من جهة أخرى وخرج الأمين وأتباعه عابرين نهر دجلة في سفينة صغيرة لم تلبث بفعل

الزحام أو بفعل طاهر بن الحسين أن انقلبت واستطاع الأمين أن يسبح إلى الشاطيء وهناك أسره الجنود الخراسانيون وقتلوه بأمر من طاهر وبذلك تنتهي خلافة الأمين، وتولى المأمون الخلافة

**خلافته**

اتسمت سياسة المأمون بأنها جمعت بين المواقف المتناقضة التي يصعب التوفيق بينها، فكان يميل إلى الفرس تارة ثم إلى العلويين تارة أخرى ثم يميل إلى أهل السنة والجماعة تارة ثالثة، فاستطاع بتلك السياسة المرنة أن يجمع بين المواقف المتناقضة وأن يرضي جميع الأحزاب ويتغلب على معظم الصعاب. بويع بالخلافة أثناء وجوده في خراسان ولهذا لم ينتقل إلى بغداد مقر الخلافة العباسية، بل ظل مقيما في مدينة مرو بخراسان مدة ست سنوات تقريبا انتقل بعدها إلى بغداد سنة ٢٠٤ هـ .

ويقال أن سبب ذلك هو أن المأمون كان يخشى أهل بغداد أنصار أخيه وقيل كذلك أن وزيره الفضل بن سهل هو الذي أقنعه بذلك كي يكون مركز الدولة بين الفرس في خراسان أما من جهة سياسة المأمون نحو العلويين فكانت تتسم بالعطف والتسامح وكأنه أراد بذلك أن يتلافى مغبة السياسة القاسية التي سلكها اباؤه العباسيون نحوهم من قبل ويلاحظ أن ميل المأمون إلى العلويين يتفق مع ميوله الفارسية، إذ كانت أمه وزوجته فارسيتين وكان الفرس يعتقدون أن العلويين هم وحدهم أحق بالخلافة بسبب صلة النسب التي تربطهم بال علي منذ أن تزوج الحسين بن علي ابنة يزدجرد الثالث ملك الفرس الساساني.لقد قام المأمون في هذا

السبيل بحركة سياسية غريبة احتار المؤرخون في تفسيرها وهي أنه في سنة ٢٠١ هـ اتى بأمير علوي وهو الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق وهو الإمام الثامن عند الإمامية الاثني عشرية وبايعه بولاية العهد، ولقبه بالرضا من ال محمد، وزوجه ابنته أم الحبيب وأمر جنوده بطرح السواد شعار العباسيين ولبس الثياب الخضراء شعار العلويين وكتب بذلك إلى سائر أنحاء المملكة.

وأغلب الظن أن المأمون حينما جعل عليا الرضا خليفة من بعده واتخذ رايات العلويين الخضر شعارا بدلا من رايات العباسيين السود انما كان مدفوعا في ذلك بشعور ديني وسياسي يرمي إلى كسب رضاء العلويين والخراسانيين على السواء، إلا أنه يبدو مع ذلك أن المأمون لم يكن مخلصا تماما في تحويل الخلافة إلى العلويين بدليل أنه تراجع عن كل هذه الاجراءات حينما دعت الضرورة إلى ذلك ويروي المؤرخون العراقيون أن العراقيين حينما بلغهم الخبر هاجوا وثاروا ورفضوا مبايعة علي الرضا وقالوا لا تخرج الخلافة من ولد العباس وخلعوا المأمون وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي خليفة عليهم ولقبوه بلقب المبارك. وتضيف الرواية إلى أن أخبار هذه الفتنة في العراق لم تصل إلى المأمون وأن الفضل ابن سهل كان يتعمد اخفاءها عنه، وأن القائد هرثمة بن أعين حاول أن يصل إلى المأمون بمرو ليطلعه على حقيقة الأحوال بالعراق ولكن الفضل بن سهل دبر له من قتله.

والشخص الوحيد الذي تجرأ على اخبار المأمون بأخبار هذه الفتن هو علي الرضا ولي عهده، عندئذ انتبه المأمون للخطر المحدق به وخرج من

مرو إلى مدينة طوس ليستمد القوة بالصلاة على ضريح والده هارون الرشيد وفي خلال الطريق قتل وزيره الفضل بن سهل وهو في الحمام بمدينة سرخس وحينما بلغ مدينة طوس توفي صهره علي الرضا مسموما، وهناك في طوس دفن علي الرضا في جوار الرشيد – ولم تلبث أن قامت حول مقامه مدينة جديدة وهي مدينة مشهد التي حلت محل مدينة طوس القديمة وهي تعتبر اليوم من أهم الأماكن الشيعية المقدسة بعد كربلاء، وقرر المأمون بعد ذلك العودة إلى بغداد بعد أن زالت الأسباب التي دعت إلى غضب أهلها فوصلها سنة ٢٠٤ هـ حيث أقبل الناس على مبايعته والترحيب به، وعفا المأمون عن عمه إبراهيم بن المهدي ثم عزل الحسن بن سهل من ولاية العراق بعد مدة قصيرة وأمر الناس بلبس السواد مرة ثانية وبذلك قطع صلته بابن سهل، وبالرغم من تخلص المأمون من بني سهل إلا أنه اعتمد على أسرة فارسية أخرى وهي أسرة طاهر بن الحسين الذي ولاه المأمون على خراسان سنة ٢٠٥ هـ واستمر الحكم في أبنائه من بعده فقامت بذلك في خراسان أول إمارة شبه مستقلة عن الدولة العباسية وهي الدولة الطاهرية

## الثورات في عهده

يذكر أن أولى الثورات بدأت منذ بدايات عهد المأمون، أثناء اقامته في مرو بخراسان، ذلك أن تحيزه للفرس أثار غضب أهل العراق من بني هاشم ووجوه العرب فأشاعوا بأن بني سهل قد حجبوا الخليفة واستبدوا بالرأي دونه، لهذا كانت أول ثورة قامت ضد المأمون كانت ثورة عربية تزعمها قائد عربي اسمه أبو السرايا السري بن منصور الشيباني وكان مركزها

مدينة الكوفة بالعراق وقد انضم إلى هذه الثورة عدد كبير من العلويين الناقمين على بني العباس ونجح أبو السريا في بداية الأمر حيث انتصر على الجيوش التي أرسلها إليه والي العراق واستولى على البصرة والقادسية وضرب نقودا باسمه، فسار إليه القائد هرثمة بن أعين بطلب من الولي واستطاع أن يقضي على الثورة وقتل قائدها وشرد أتباعها سنة ٢٠١ هجرية .

## ثورة الأقاليم

دينار عباسي ضرب عام ٢٠٨ هـ – ٨٢٣م بالفسطاط)مصر (في عهد الخليفة المأمون. كتب على وجه الدينار:للخليفة المأمون، وكتب على ظهره :عبيد الله بن السري، وهو والي مصر في ذلك العصر.

ضعفت السلطة المركزية في بغداد نتيجة الفتن والحروب التي تخللت عصر الأمين وأوائل عصر المأمون مما أدى إلى انتقال عدواها إلى الأقاليم الإسلامية الاخرى كما شجعت بعض الولاة على التهاون بمصالح الناس وارهاقهم بكثرة الضرائب والأعباء المالية المختلفة مما أدى إلى جنوحهم للثورة والعصيان. كان أخطر هذه الثورات جميعا ثورة مصر، ذلك أن الأحوال في مصر كانت مضطربة إذ انتقلت إليها عدوى الخلافات بين الأمين والمأمون ففريق كان يؤيد الأمين وفريق آخر كان يؤيد المأمون وفريق ثالث بزعامة السري بن الحكم وأولاده يعمل لحسابه الخاص ويضرب فريقا باخر بغية الاستقلال بمصر، وتصادف في ذلك الوقت أن قامت ثورة في الأندلس ضد أميرها الحكم الأول الأموي وقد عاقبهم الأمير

بهدم ديارهم وحرق حيهم ونفيهم من الأندلس فعبر بعضهم إلى المغرب أما البعض الآخر فقد واصلوا سيرهم في البحر شرقا حتى وصلوا شواطىء الإسكندرية فنزلوا في أوائل عصر المأمون وكانت الأحوال في مصر مضطربة وانتهز الأندلسيون المهاجرون فرصة هذه الفتن واستولوا على مدينة الاسكندرية بمعاونة أعراب البحيرة وأسسوا فيها إمارة أندلسية مستقلة عن الخلافة العباسية دامت أكثر من عشر سنوات وعندما استتب الأمر للخليفة المأمون أرسل قائده عبد الله بن طاهر بن الحسين إلى مصر لإعادة الأمور إلى نصابها سنة ٨٢٨ فأرسل إلى هؤلاء الأندلسيين يهددهم بالحرب ان لم يدخلوا الطاعة فأجابوه إلى طلبه حقنا للدماء ثم اتجهوا في مراكبهم إلى جزيرة كريت وكانت تابعة للدولة البيزنطية فاستولوا عليها وهناك أسسوا قاعدة بحرية إسلامية ضد الدولة البيزنطية

غير أن الأوضاع بمصر لم تستقر بعد حملة عبد الله بن طاهر بن الحسين بسبب تعسف الولاة وفداحة الجزية وكثرة الأعباء الملقاة على كاهل المصريين، ففي سنة ٢١٦ ه قام الأقباط بثورة خطيرة عمت الساحل المصري كله واستمرت الثورة ثمانية أشهر حتى اضطر الخليفة المأمون وكان في الشام وقتئذ أن يذهب إلى مصر بنفسه لتهدئة الحالة، وغضب الخليفة على والي مصر وقتئذ وأنبه بقوله " لم يكن هذا الحدث العظيم الا عن فعلك وفعل عمالك حملتم الناس ما لا يطيقون وكتمتوني الخبر حتى تفاقم الأمر واضطربت البلاد" ثم أمر بعزله، وحاول المأمون في بادىء الأمر أخذ الثوار باللين فوسط بينه وبين أسقف عرف باسم دنيس ولكن

الوساطة لم تأت بالنتيجة المرجوة، فاضطر إلى استعمال الشدة والعنف لإخماد تلك الثورة

كذلك قامت القبائل والعشائر العربية في الشام والجزيرة بثورات مختلفة بقيادة زعيم عربي اسمه نصر بن شبث وكانت هذه الثورات موجهة ضد النفوذ الفارسي لميل المأمون إلى جانب الخراسانيين، وقد استطاع القائد عبد الله بن طاهر بن الحسين تهدئة القبائل الثائرة بالحزم والشدة تارة، وبالاستصلاح تارة أخرى إذ رفع عنهم الكثير من الضرائب .

تفرد عهد المأمون بتشجيع مطلق للعلوم من فلسفة وطب ورياضيات وفلك واهتمام خاص بعلوم اليونان، وقد أسس الخليفة عام ٨٣٠ م جامعة بيت الحكمة في بغداد والتي كانت من كبريات جامعات عصرها، واخترع في عهده الاسطرلاب وعدد من الآلات التقنية الأخرى، وحاول العلماء قياس محيط الأرض ما يدلّ على الاعتراف بكرويتها من ناحية وتطور العلوم من ناحية ثانية؛ وقد تكون عمليات الترجمة التي رعاها هو وحاشيته وولاته، أبرز سمات عهده إذ نقلت خلالها العلوم والآداب السريانية والفارسية واليونانية إلى العربية أ، اكتسبت من خلالهاللغة العربية مكانة مرموقة إذ تحولت من لغة شعر وأدب فحسب إلى لغة علم وفلسفة .وكذلك فقد ساهمت عمليات الترجمة في إرساء منسوب ثقافي عالٍ في الدولة، وقد أثر الانفتاح الثقافي على المعتقدات الدينية، فقال المأمون بخلق القرآن وأجبر الناس على الحذو في هذه الصيغة، كما أعلن المعتزلة عقيدة الدولة الرسمية، ثم عهد بولاية العهد قسطًا من الزمن لعلي الرضا الشيعي وأخذ الشعار الأخضر بدلاً من الشعار الأسود، ثم عاد إلى شعار بني العباس الأسود وعيّن أخاه

وليًا للعهد. وزار المأمون مصر ودمشق والجزيرة السورية وتوفي ودفنبطرسوس شمال الشام فى سنة٢١٨ هـ وأخذت البيعة لأخيه محمد المعتصم بالله الذي بنى مدينة سامراء وفتح عمورية قرب أنقرة مسقط رأس العائلة الإمبراطورية البيزنطية، واستمرت عمليات الترجمة والنهضة العلمية في عهده كما افتتحها سلفه المأمون، ولعلّ قضاءه على ثورة بابك الخرمي التي أسست دولة شاسعة في أذربيجان وجوارها منذ عهد المأمونأبرز أعماله؛ إذ إن بابك الخرمي قد مزج بين الإسلام والمجوسية وأسس دينًا هجينًا وعمد إلى إصلاحات اقتصادية واجتماعية جذرية ما ساهم في بقائه عصيًا على الدولة العباسية عشرين عامًا، إلى أن استطاع القائد التركي أفشين القضاء عليه، ومن الثورات الأخرى ثورة الزط جنوب العراق وإجلاء المعتصم إياهم إلى الأناضول . كانت والدة المعتصم تركية، لذلك فقد أحاط نفسه بالحرس التركي كما فعل أخوه المأمون مع الفرس، وكان قوام الحرس التركي بداية عهد المعتصم أربعة آلاف رجل، غير أنه استقدم المزيد من قبائلهم عامًا فعامًا ما آثار قلاقل واضطرابات في بغداد اضطر معها الخليفة لنقل عاصمته إلى سامراء، وإثر وفاته عام٨٤٢ م بويع ابنه الواثق بالله واستمر في سياسة والده القائمة على استيراد القبائل التركية ومنحهم الوظاف العالية في الدولة وجعلهم قوام الجيش فعليًا، وكان الواثق قد خلع على القائد التركي أشناس لقب "السلطان" ما مهد لضعف الدولة وزوال سيطرة الخلفاء عليها، وإثر وفاته عام٨٤٧ مبويع أخوه أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بالخلافة، والذي يحدد أغلب المؤرخين تاريخ خلافته بدءًا لانحطاط الدولة العباسية.

# العصر العباسى الثانى

# ٨٤٧ – ٨٦٢ م

## عصر الحرس التركى

لم يستطع العباسيون الحفاظ على وحدة الدولة كما فعل أسلافهم الأمويين، فاستقلّ عبد الرحمن الداخل بالأندلس منذ قيام الدولة، وفي خلافة موسى الهادي استطاع إدريس بن عبد الله بن الحسن الفرار من مذبحة لحقت بأسرته وأنصارها في المدينة المنورة إثر مطالبة والده بالخلافة، واتجه إلى المغرب حيث أسس الدولة الإدريسية المستقلة وعاصمتها فاس، وفى عهد المأمون تولى إبراهيم بن الأغلب ولاية إفريقية ال تى تشمل ليبيا وتونس وشمال الجزائر وبقي حكم هذه الولاية محصورًا في ذريته حتى ظهور الدولة الفاطمية، ولم يحفظ بنو الأغلب للخلفاء العباسيين سوى الخطبة وسك اسم الخليفة على النقد، وبذلك فإن الدولة العباسية منذ عهود قوتها لم تحفظ وحدة أراضيها الإدارية، وهو الأمر الذي سيكرس رسميًا وفي كل جهات الدولة خلال عصور التراجع والانحطاط . أبرز أوجه عصور الانحطاط، هو استقلال الولاة والسلاطين في شؤون ولايتهم بل وتأسيسهم دول مستقلة تمامًا في بعضها، كان تدخل الجيش في تعيين الخلفاء

توفي أول السلاطين الأتراك أشناس عام٨٤٤ م وخلفه وصيف التركي، وعندما توفي الواثقعام٨٤٧ م ما كانت مبايعة المتوكل على الله لتتم

لولا رغبة السلطان وصيف، في وقت كانت الأسرة العباسية والمقربين منها، تميل لمبايعة محمد بن الواثق بالخلافة .

اول المتوكل على الله الثورة على واقعه، فقتل عددًا من قواد الجيش كابن الزيات وإيناخ، ونقل عاصمة الدولة إلى دمشق عام٨٥٨م إلا أنه اضطر العودة إلى سامراء بعد شهرين فقط بضغط الأتراك، وقام أيضًا بتحويل المذهب الرسمي من المذهب المعتزلي إلى المذهب السني الشافعي، ما مثّل نقلة كبيرة لدى الدولة العباسية التي طرأت عليها عدة مراحل من التطورات الدينية، إذ بدأت مع تقارب مع الشيعة وسرعان ما انقلبت عليهم واعتمدت الاعتزال كعقيدة الدولة منذ عهد المأمون .وكان المتوكل على الله قد أمر عام ٨٥٠ م بهدم ضريح الحسين بن علي في كربلاء وضريح علي بن أبي طالب في النجف ومنع الناس من زيارتهما، كما أمر بهدم جميع الكنائس في العراق ومناطق أخرى وكذلك الكنس اليهودية مع وضع شارات معينة على لباسالمسيحيين واليهود ومنعهم من ركوب الخيل،وعلى الرغم من دعواته المتلاحقة للعمل بالشريعة الإسلامية إلا أن ما أقدم عليه يتنافى مع قواعدها، حيث كفل نظام أهل الذمة الإسلامي حقوقًا وكرامة أوسع لليهود والمسيحيين. أخيرًا اتفق بعض الجند الأتراك مع ابنه المنتصر بالله على قتله في مجلس شرابه يوم ١٠ ديسمبر سنة٨٦١ م، الموافق فيه ٣ شوّال سنة٢٤٧ هـ غير أن خلافة المنتصر بالله لم تطل إذ سرعان ما قضى عليه الأتراك بالسم في مايو٨٦٢ م، وبويع أبو العباس أحمد المستعين بالله ابن المعتصم بالله بالخلافة، لأن رجال السلطان لم يرد أن يبايع أحد أولاد المتوكل خليفة.

# عهد الفتن والحروب

## ٨٦٢ – ١٠٥٥ هـ

**سلاطين تلك الفترة :**

- طولونيون
- فاطميون
- سامانيون
- بويهيون
- حمدانيون
- أغالبة
- اخشيديون

شهدت خلافة المستعين بالله قيام الدولة الطاهرية في خراسان، كما استقلت طبرستان تحت حكم الحسن بن زيد الملقب بـــ"الداعي إلى الحق"، وحصرت وظيفة السلطان بعائلة بغا التركي، ما مهد لظهور الفتن بين الأتراك أنفسهم، فحاصر المتمردون قصر الخليفة في سامراء فهرب إلى بغداد، عندها بايع الجند الثوّار المعتز بالله خليفة، فأرسل جيشًا بخمسين ألف مقاتل إلى بغداد، التي قام أهلها بخلع المستعين ومبايعة المعتز، حقنًا للدماء، بل أن المستعين نفسه بايع المعتز، إلا أن الخليفة الجديد قتل سلفه.

وفي خلافة المعتز بالله قامت الدولة الطولونية في مصر، والتي لم تترك للخليفة سوى الخطبة والسكة، واستولى يعقوب الصفار على بلاد فارس، ما دفع المؤرخ محمد فريد بك للقول بأن أملاك الخلافة العباسية لا تزيد عن ربع ما كانت قبلاً لدولة بني أمية. ورغم مسالمة المعتز للأتراك وتعيين من شاؤوا في مناصب الدولة العليا، إلا أنهم قد خلعوه عام ٨٧٠ م لتردي الوضع الاقتصادي ونضوب خزينة الدولة،وبايعوا المهتدي بالله بن الواثق بالخلافة، وقد مات المعتز في سجنه من العطش والجوع

حاول الخليفة الجديد كسر شوكة الأتراك، فقتل قائدهم بايكال بعد أشهر من توليه الخلافة، فقتله الأتراك ولم يمض على خلافته عام واحد بعد؛ وبويع المعتمد على الله بن المتوكل على الله خليفة، وفي عهده ثار الزنوج في البصرة وواسط وعاثوا فسادًا في بغداد نفسها، احتجاجًا على سوء الأوضاع الاقتصادية والمعاملة الاجتماعية الدونية، كما أكمل الطولونيون استقلالهم بمصر مانعين السيادة الاسمية للخليفة المتمثلة بذكر اسمه في الخطبة، وقد استطاع الطولونيون السيطرة على أغلب بلاد الشام فلم يبق للعباسيين سوى العراق .ويعود لخلافة المعتمد وفاة الإمامين بخاري ومسلم الذين اشتهرا بجمع الأحاديث النبوية، وظهور طائفة الإسماعيلية.

توفي المعتمد على الله عام٨٩٢ م، وبويع المعتضد بالله خليفة، وكانت خلافته وخلافة ابنه المكتفي بالله تحسنًا في الأوضاع الاقتصادية والسياسية على السواء، كما استعاد العباسيون مصر وهزموا الإسماعيلية في عدة مواقع، وظهرت الدولة السامانية التي استعادت طبرستان وسيطرت

على بلاد فارس وخراسان مع حفظ السلطة الاسمية للخليفة، كما أعيدت عاصمة الدولة إلى بغداد.

وإثر وفاة المكتفي في أغسطس٩٠٨ م، بويع المقتدر بالله خليفة، إلا أنه خلع مرتين: الأولى لدى بداية عهده وبويع عبد الله بن المعتز إلا أنه قتل في اليوم التالي خلال الفتن بين أنصاره وأنصار المقتدي، فكانت خلافته يومًا واحدًا ولم يعتبره جميع المؤرخين خليفة، والثانية عام٩٢٩ م حيث خلعه الجند ورجال الدولة بسبب سيطرة النساء والخدم على الدولة إلا أنه عاد بعد ثلاثة أيام، واستمر في الخلافة حتى قتل عام٩٣٢ م خلال معركة بينه وبين مؤنس التركي أحد قواد الجيش، وأصبح أخاه القاهر بالله خليفة، إلا أن مؤنس نفسه خلعه بعد عامين وسمل عيناه وسجنه، وفي خلافته

ظهرت الدولة البويهية فى بلاد فارس وخراسان، كما استقلت تونس والجزائر وليبيا نهائيًا مع ظهور الدولة الفاطميةالتي قضت على حكم الدولة الأغلبية، وبنو رستم وبنو مدرار، والذين وإن استقلوا فعليًا عن الدولة العباسية إلا أنهم حفظوا سيادتها الاسمية.

وفي خلافة الراضي بالله، ظهرت الدولة الإخشيدية في مصر وسيطرت على أجزاء واسعة من بلاد الشام وأصبح نفوذ أمير الأمراء من القوة بحيث أنه عندما مات الراضي بالله عام٩٤٠ م لم تتم مبايعة الخليفة مباشرة خلافًا للعرف القائم منذ عهد أبو بكر، بل انتظر أسبوعًا لحين عودة بجكم أمير الأمراء من واسط ومبايعته المتقي لله .

السنوات اللاحقة أصبحت صراعًا على منصب أمير الأمراء، فتوالى بعد بجكم، ابن البريدي الذي خلعه الشعب في بغداد لظلمه، ثم كورتكين فابن رابق، الذي هرب والخليفة إلى الموصل احتماءً لدى الحمدانيين من بطش ابن بريدي العائد إلى بغداد؛ ولم يلبث ناصر الدولة بن حمدان أن قتل ابن رابق وتولى إمارة الأمراء بنفسه وأعاد الخليفة إلى بغداد، تلاه تورون الذي سجن الخليفة وسمل عينيه وبايع المستكفي باللهعام٩٤٤ م، إلا أنه خلع عام٩٤٦ م، وقد توالى في خلافته القصيرة ثلاثة في منصب أمير الأمراء، هم تورون وابن شيرزاد ومعز الدولة بن بويه مؤسسًا الدولة البويهية، وقد خلع معز الدولة الخليفة وعيّن المطيع لله خليفة؛ وقد شهدت خلافته امتداد نفوذ الفاطميين من تونس إلى مصر وبلاد الشام، بحيث أصبح العالم الإسلامي مقسمًا على ثلاثة خلفاء في آن واحد، في قرطبة والقاهرة وبغداد، أضعفهم سلطة خليفة بغداد.

لم تكن خلافة المطيع لله الذي بويع عام٩٤٦ م مختلفة عما سبقه من عهود، إذ استمرت الحروب بين البويهين والحمدانيين والجند الأتراك، وأغار البيزنطيون على حدود الدولة واستعادوا أجزاءً منالأناضول وكيليكيا كانوا قد فقدوها سابقًا، وثار الأتراك بقيادة سبكتكين عام٩٧٤ م على الدولة البويهية وخلعوا الخليفة وبايعوا ابنه الطائع لله، وكانت خلافته تفتقر إلى الاستقرار السياسي مع تتالي الحروب والفتن بين بني البويه من ناحية والأتراك من ناحية ثانية حتى خلعه عام٩٩١ م، وبويع إثره القادر بالله خليفة وقد مكث بالحكم أربع عقود، شهدت قيام الدولة الغزنوية وانهيار الخلافة الأموية في الأندلس، واستمرار

الحروب بين البويهيين والأتراك، ثم سادت فترة من الهدوء بعد أن قبض بهاء الدولة البويهي على الحكم، وكذلك في عهد خليفته سلطان الدولة وأخاه شرف الدولة والذي بوفاته، ضعفت الدولة البويهية وعظم أمر الأتراك، ووصلت ذورتها في أواخر خلافة القادر، حين قام أرسلان بن عبد الله البساسيري بالخطبة للخيفة الفاطمي في بغداد، فاستنجد الخليفة العباسي بطغرل بكقائد السلاجقة، فدخل بغداد عام١٠٥٥ م، وثبت الخليفة العباسي، وابتدأ عصر آل سلجوق في بغداد.

شهدت تلك المرحلة أيضًا خصوصًا خلال القرن العاشر هجرة قبائل كردية من جوار بحر قزوين للاستقرار في العراق وشمال بلاد الشام؛ وازدهار هجرة القبائل أدى إلى تعاسة الوضع الاقتصادي والاجتماعي فضلاً عن تكاثر الحروب الداخلية والخارجية. إحدى أمثلة ذلك الدولة العقيلية والدولة المروانية اللتين ورثتا الدولة الحمدانية بعد انهيارها عام٩٧٩ ، وغلب الطابع العربي على الأولى بينما الطابع الكردي على الثانية، وقد اقتتلا طويلاً للسيطرة على الجزيرة السورية، كما قادت الدولة العقيلية حروبًا عدة ضد الدولة البويهية في بغداد .أما الحروب الخارجية، فتتمثل بغارات الإمبراطورية البيزنطية على حلب وأنطاكية واحتلالهما قسطًا من الزمن، بنتيجة تشقق الوضع الداخلي .

# العصر العباسي الثالث

# عصر آل سلجوق

## السلطنة السلجوقية في أوجها "١٠٥٥ – ١٠٩٢"

وفق أكثر النظريات انتشارًا، فإن السلاجقة هم جمهرة من القبائل التركية الرحل المحاربة، كانت تستقر في الصين وانتقلت منها إلى بخارى حيث اعتنقت الإسلام في عهد مؤسسها سلجوق، ثم استطاعت تحت زعامة طغرل بك السيطرة التدريجية على أملاك الدولة الغزنوية ثم الدخول إلىبغداد بناءً على طلب الخليفة، الذي عين طغرل بك سلطانًا وخطب باسمه في ١٥ ديسمبر سنة١٠٥٥ م، الموافق فيه ٢٢ رمضان سنة٤٤٧ هـ، ولقبه "بملك المشرق والمغرب" وزوجه ابنته .

وإثر وفاته عام١٠٦٣ م، كان طغرل بك قد حقق استقرارًا سياسيًا واقتصاديًا في الأوضاع، وقد خلفه ألب أرسلان الذي امتد حكمه حتى القدسواستطاع عقب انتصاره في معركة ملاذكرد تأسيس دولة سلجوقية في الأناضول هي الأولى من نوعها؛ غير أنه قتل في إحدى معاركه عام١٠٦٤م وتلاه ابنه جلال الدولة ملكشاه، الذي شهدت سلطنته وفاة الخليفة القائم بأمر الله بعد خلافة استمرت خمسة وأربعين عامًا تعكس الاستقرار وتحسن الأوضاع المعيشية، وبويع المقتدي بأمر الله بالخلافة. وقد اهتم ملكشاه بالعلوم والفنون وشيّد في بغداد مرصدًا فلكيًا ومسجدًا كبيرًا دعي جامع السلطان وقد برز فى عهده أيضاً عمر الخيام وثار القرامطة في البصرة عدة مرات، وبوفاته عام١٠٩٢ م أخذت الدولة

السلجوقية بفقدان قوتها، إذ تفرقت إلى عدة دول مستقلة في بلاد الشام والعراق وبلاد فارس وغيرها، بل تحولت الساحة إلى دسائس وتحالفات بين الملوك السلاجقة ضد بعضهم البعض بهدف توسيع إمارتهم.

لا شكّ أن تكلفة هذه الحروب الداخلية المستمرة، لم تؤثر فقط على الاستقرار الاجتماعي في البلاد، بل على الوضع الاقتصادي أيضًا بسبب كلفتها الباهظة، ما سهّل تحقيق انتصار الحملة الصليبية الأولى عام١٠٩٨ م، وكان المستظهر بالله حينها يشغل منصب الخليفة منذ عام١٠٩٤ م

## حروب السلاجقة وغروب دولهم "١٠٩٢ – ١١٣٦"

استطاعت الحملة الصليبية الأولى تأسيس أربعة ممالك لاتينية في المشرق، هي إمارة الرها وإمارة أنطاكية وإمارة طرابلس ومملكة بيت المقدس، التي كانت تحت سلطة الخلافة الفاطمية مجددًا منذ عام١٠٩٦ م . لم يستطع السلاجقة ردع الصليبيين عن ساحل بلاد الشام، بيد أنهم صدّوا تقدمهم نحو أنقرةوقلب الأناضول كما أوقفوا تقدمهم تجاه حلب والعراق عمومًا. أما العراق وخلافته فكانا منشغلان بالحروب الداخلية والثورات التي يقودها القرامطة فلم يتم إعناء مقاومة الصليبيين أو ردعهم أية أهمية تذكر، وقد نقل أنه في أعقاب سقوط القدس عام١٠٩٩ م زار وفد من أهالي المدينة الناجين الخليفةالمستظهر بالله فاعتذر منهم مبديًا عواطفه، ثم عاد وأرسل عام١١١١ م جيشًا صغير الحجم بقيادة مودود بعد مضايقة الصليبيين لحلب .

أواخر عهد المستظهر استقرت الأوضاع للسلطان محمد السلجوقي غير

أن وفاته عام ١١١٨ م فجرت الوضع مجدداً بين وريثه محمود السلجوقى وأخاه داود وبعض أعمامه، وإثر وفاة الخليفة المستظهر في أغسطس١١١٨ م أصبح المسترشد بالله خليفة، وفي خلافته ظهر عماد الدين زنكي والي الموصل والذي وسع أملاكه ضامًا حلب وحمص، وتلاه ابنه نور الدين زنكي الذي ضم دمشق ومصر .

خلال نمو الدولة الزنكية كانت حروب السلاجقة الداخلية لا تزال مستمرة فانتصر مسعود السلجوقي على ابن أخيه محمود، وقتل الخليفة المسترشد عام١١٣٥ م أثناء محاربة مسعود مدافعًا عن محمود،وأصبح الراشد بالله خليفة من بعده، غير أن السلطان مسعود السلجوقي سرعان ما خلعه، فهرب الخليفة إلى أصفهان حيث قتل عام١١٣٦ م وأصبحالمقتفي لأمر الله خليفة من بعده.

**الخلفاء يستعيدون السيطرة على بغداد "١١٣٦ – ١٢٤٢"**

استطاع المقتفي لأمر الله أن يستقل بحكم بغداد وجوارها عن السلاجقة المستقلين بمحاربة بعضهم بعض، ودعم الأسرة الزنكية التي بلغت شأنًا عاليًا في محاربة الصليبيين واستطاعت استعادة الرها منهم؛ وعندما توفي عام١١٧٠ م بويع ابنه المستنجد باللهبالخلافة، فاستمر بسياسة والده الرامية إلى الحفاظ على استقلال بغداد وجوارها، وأرسى إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية عديدة، وكان في خلافته أن خطب للعباسيين في مصر على يد الدولة الزنكية بعد وفاة آخر

الخلفاءالفاطميين العاضد لدين الله، وبذلك توحدت الخلافة الإسلامية مجددًا؛ كما شهدت خلافته قيام السلطنة الأيوبية بقيادة صلاح الدين الأيوبي الذي سيطر على بلاد الشام والحجاز واليمن ومصر وليبيا، واستطاع صلاح الدين في عهد الخليفة المستضيء بأمر الله استعادة القدس وعدد آخر من المدن التي كانت واقعة تحت سيطرة الصليبيين عام١١٨٧ م في أعقاب معركة حطين، وتصدى للحملة الصليبية الثالثة .وتلىالمستضيء ابنه الناصر لدين الله، والذي استطاع كما فعل والده وجده، الحفاظ على الجزء الأكبر من العراق مستقلاً تحت إدارته الفعلية لا إدارة الوزراء أو الجيش، وقد دعا عدد من المؤرخين فترة هؤلاء الخلفاء الذين استقلو بالعراق اسم "فترة استعادة هيبة الخلافة"، وقد توفيالناصر لدين الله، والذي اشتهر بالحكمة والحنكة، بعد خلافة طويلة دامت خمسةً وأربعين عامًا في أكتوبر سنة١٢٢٥ م .

في الواقع، فإن وضع العراق خلال عهد الناصر لدين الله، كان أفضل بكثير عن سائر أمصار الدولة العباسية؛ فبعد وفاة صلاح الدين الأيوبيعام١١٩٣ م ودفنه في دمشق، اقتسم أولاده السبعة عشر سلطنته المترامية الأطراف، وكما فعل السلاجقة من قبلهم، تحارب الأمراء الأيوبيون وشكلوا أحلافًا ضد بعضهم البعض، واستوردوا قبائل تركية وشركسية دعيت لاحقًا باسم المماليك؛ أما أحوال أقصى المشرق الإسلامي، كبخارى وكابُل وجوارهما، فكانت سيئة هي الأخرى، بسبب تعرضهما للغزو والتخريب من قبل المغول بقيادة جنكيز خان .

على أن ما وصل من أخبار ذلك العصر في العراق وسواه، لا تفيد بأوضاع ثقافية جيدة أو دعم للعلوم والفنون من قبل الخلفاء وحاشيتهم، كما كان الحال في عصر الدولة الذهبي.

تلى الناصر ابنه الظاهر بأمر الله، لكنه توفي بعد عام واحد فقط، وصارت البيعة لابنه المستنصر بالله عام١٢٢٦ م وقد أسس الجامعة المستنصرية، ونقل المؤرخون أنه أسس دورًا لضيافة الفقراء وإعتاق الرقيق، وفي خلافته سيطر المغول على بلاد فارس محاذين بذلك العراق.

# خلافة المستعصم بالله

# ونهاية الدولة ١٢٤٢ - ١٢٥٨

وفي المستنصر في ديسمبر من سنة١٢٤٢ م، وتلاه ابنه المستعصم بالله آخر العباسيين في بغداد؛ والذي شهدت خلافته نهاية محطات مهمة في تاريخ الخلافة العباسية؛ منها فشل الحملة الصليبية السابعة والثامنة وهما آخر الحملات الصليبية مما عجل في نهاية تلك الحقبة، وعمومًا فإنه باستثناء الحملة الصليبية الأولى والثالثة والرابعة التي توجهت إلى القسطنطينية لم تحقق أي حملة صليبية نصرًا هامًا وطويل الأمد في المناطق التي استولت عليها. وفي أعقاب الحملة الصليبية الثامنة، كانت أملاك الصليبيين الأساسية في المشرق تقتصر على أنطاكية وطرابلس وعكا كجزر متناثرة وغير متصلة جغرافيًا. كذلك فقد شهدت خلافته نهايةالسلطنة الأيوبية عام ١٢٥٠ م بعد وفاة الملك الصالح أيوب واستلام شجرة الدر السلطنة مكانه ثمانين يومًا ليقوم جند زوجها بخلعها والسيطرة على الحكم بانقلاب سلمي. انتخب إثره عز الدين أيبك سلطانًا.

أما الحدث الثالث، فتمثل بسقوط بغداد حاضرة الخلافة على يدالمغول بقيادة هولاكو خان التتري، حيث سار هولاكو على رأس جيش ضخم بأمر من إمبراطور المغول منكو خان الذي أمر ان يخرج معه كل ذكر قادر على حمل السلاح في الإمبراطورية، ثم انضم للجيش

قبائل أرمنية وجورجية وتركية وفارسية. ويرى المؤرخ آلان دمورجيه أن الجيش الصليبي المرابط في أنطاكية وطرابلس كان أيضًا من المشاركين في الهجوم .

طالب هولاكو الخليفة المستعصم بالله بالاستسلام، ولكن الخليفة رفض محذرًا المغول من العقاب الألهي الذي سيحلّ بهم في حال هاجموا الخلافة؛ يشير الكثير من المؤرخين بأن أحد أسباب نجاح الهجوم المغولي هو حالة الجيش العباسي الضعيفة وتسريح عدد كبير من جنده لتقليص النفقات خلال تولي ابن العلقمي شؤون الوزارة، فضلاً عن ضعف استحكامات المدينة وعدم تقوية أسوارها؛ يقول ديفيد نيكول بأن الخليفة بالإضافة لفشله بتجهيز آلية الدفاع عن المدينة بشكل جيد، فقد أساء كثيرًا لهولاكو بتهديده إياه، إضافة إلى وثوقه المبالغ فيه لوزيره ابن العلقمي، ما ساهم على تدمير المدينة والخلافة، مع أن مونكو خان أمر أخاه هولاكو بالمحافظة على الخلافة إن وافق الخليفة الخضوع لسلطة المغول .

قبل التوجه إلى بغداد، دمر هولاكو قبائل اللور ومن ثم حصّل استسلام الإسماعيليين والمعروفين أيضًا باسم الحشاشين بعد أن حاصر حاضرتهم قلعة ألموت في شمال إيران على شواطئ بحر قزوين، ورغم ذلك فقد قتل هولاكو الكثير منهم باستثناء نصير الدين الطوسيوأتباعه والذين لحقوا بجيش هولاكو المتوجه لمحاصرة بغداد منذ عام١٢٥٦ م .قسم هولاكو جيشه إلى قسمين، وضرب حصارًا حول بغداد بدءًا من يوم ٢٩ يناير سنة١٢٥٨ م؛ دمر المغول السدود وقنوات الري ما ساهم في تدمير الزراعة وإفاضة المياه داخل المدينة، ثم إن قصف المقالع والمناجيق

سهلت سقوط استحكامات العباسيين الواحدة تلو الأخرى حتى أحاط المغول بالمدينة من كل جانب يوم ٥ فبراير ١٢٥٨م / ٣٠ محرم ٦٥٦هـ؛ حاول المستعصم أن يفاوض المحاصرين لكن هولاكو رفض، واقتحم بغداد يوم ١٠ فبراير ١٢٥٨ م / ٤ صفر ٦٥٦هـ، مرتكبين مذابحًا بحق أبنائها، وبحسب بعض المصادر بلغ عدد القتلى من الجند والمدنيين مليوني شخص بل حتى من حاول من الأهالي الفرار عمد المعول إلى قتله،ويذكر أن هولاكو أمر بنقل مقر المخيم بسبب روائح الموت المنبعثة؛ كما بدؤوا عمليات سلب ونهب ثم إحراق، فتلفت المكتبات وما تحويها وقيل أن مياه نهر دجلة تحولت إلى اللون الأسود لكثرة ما رمي فيها من أوراق محترقة، وكذلك حال المساجد والقصور والجامعات .أما الخليفة فقد أمر هولاكو بحبسه ثم منع عنه الطعام والشراب حتى مات في ٢٠ فبراير ١٢٥٨م، لتزول بذلك الخلافة العباسية في بغداد .

# الخلافة العباسية في مصر

تنسب الدولة العباسية إلى العباس بن عبدالمطلب "أحد أعمام الرسول ﷺ"؛ وتعتبر الأسرة الحاكمة الثانية في التاريخ الإسلامي، وتستند أحقيتهم في الخلافة على إنحدارهم من الهاشميين. حيث يعتبر العباسيون أحد فرعي بني هاشم، بينما يعتبر العلويون "أتباع علي بن أبي طالب" هم الفرع الآخر.

## الخلافة العباسية في القاهرة

واستمرت مصر خلال العصر العباسي تحكم من خلال الولاة المعينين من قبل الخلافة العباسية، وثمة ما يجب ملاحظته هنا، فقد كان ولاة مصر في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين من العرب تمشياً مع سياسة الدولة التي كانت عربية في سياستها وسيادتها، فقد كان الإشراف السياسي والإداري والحربي والقيادات العليا للعربدون سواهم من الشعوب المحكومة، ولما كان العباسيون قد أشركوا غير العرب في الحكم فقد العرب امتيازهم.

المماليك في العربية هم من سبوا دون أبائهم أو أماتهم، وكان المصدر الرئيسي لاستيرادهم هو الأسر في الحروب أو الشراء في أسواق النخاسة

وشهد العصر العباسي في مصر وجود عدد من الولاة من عناصر غير عربية، فقد كان عنبسة بن اسحاق الضبي آخر الولاة العرب في العصر العباسي "٢٣٨ – ٢٤٢ هجرية"، وترتب عليه أن الوالي الذي كان يقوم

بإمامة المسلمين في الصلاة أصبح ينيب عنه من يؤم المسلمين في الصلاة حيث لم يكن هؤلاء الولاة غير العرب يحسنون العربية.

وكانت فكرة تجنيد العبيد قد بدأت منذ عهد المأمون وأصبحت في عهود ضعف الدولة العباسية القوام الوحيد للجيش والمنبع الأساسي للسلطة؛ أما مماليك مصر فقد تمّ استقدامهم على يد السلاطين الأيوبيين وهم في الغالب شراكسة بيض، يتم تعليمهم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وفنون القتال منذ الصغر. تولى المماليك حكم مصر عام١٢٥٠ بعد انقراض السلطنة الأيوبية

كذلك نلاحظ كثرة تغيير الولاة في مصر في العصر العباسي، فقد شهدت مصر منذ قيام العباسيين وحتى دخول الفاطميين اثنين وثمانين والياً تولى بعضهم مرتين. ورُوّع المسلمون بسقوط بغداد حاضرة الخلافة العباسية في "٣٠ من المحرم ٦٥٦ هـ = ٦ من فبراير ١٢٥٨م" في أيدي المغول الوثنيين بقيادة هولاكو، بعد أن قتلوا الخليفة المستعصم بالله العباسي هو وأهله، واستباحوا المدينة التليدة، فقتلوا السواد الأعظم من أهلها الذين قُدروا بنحو مليون قتيل، وأضرموا النيران في المدينة، وهدموا المساجد والقصور، وخربوا المكتبات وأتلفوا ما بها من كتب إما بإحراقها أو رميها في "دجلة"، وأصبحت المدينة بعد أن كانت درة الدنيا، وزهرة عواصم العالم، أثرًا بعد عين.

وشعر المسلمون بعد مقتل الخليفة المستعصم، وسقوط الخلافة العباسية التي ظلت تحكم معظم أنحاء العالم الإسلامي خمسة قرون بأن العالم على وشك الانتهاء، وأن الساعة آتية قريبا، وذلك لهول المصيبة

التي وقعت بهم، وإحساسهم بأنهم أصبحوا بدون خليفة، وهو أمر لم يعتادوه منذ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وصاروا يؤولون كل ظاهرة على أنها تعبير عن سخط الله وغضبه، واتخذوها دليلاً على ما سيحل بالعالم، من سوء لخلوه من خليفة.

ويعد المؤرخ الكبير ابن الأثير سقوط الخلافة كارثة لم يحل مثلها بالعالم من قبل، ويقول: فلو قال قائل منذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم وإلى الآن: لم يبتلّ العالم بمثلها لكان صادقًا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقابلها ولا ما يدانيها.

وتداعت الأحداث سريعًا، وتعذر إحياء الخلافة العباسية مرة أخرى في بغداد التي أصبحت قاعدة للمغول الوثنيين، ثم اجتاحت جحافلهم الشام، فسقطتحلب بعد مقاومة عنيفة، واستسلمت دمشق، فدخلها المغول دون مقاومة.

## معركة عين جالوت

ولم يوقف زحفهم المدمر سوى انتصار المسلمين في معركة عين جالوت في "٢٦ رمضان سنة ٦٥٨هـ = ٣ سبتمبر ١٢٦٠م".

وتعد هذه المعركة من أهم المعارك في تاريخ العالم الإسلامي، بل في تاريخ العالم، إذ أوقفت زحف المغول، وأنزلت بهم هزيمة مدوية أحالت دون تقدمهم إلى مصر وكانوا على مقربة منها، ومنعت زحفهم إلى ما وراءها من بلاد العالم الإسلامي، وأنقذت معالم الحضارة الإسلامية في تلك البلاد من الدمار وأصبحت شاهدة على ما بلغته من مجد وتفوق.

وكان من نتائج هذا النصر المجيد أن أصبح أمر إعادة الخلافة العباسية ممكنًا، فما إن علم السلطان قطز بطل معركة عين جالوت، حين قدم دمشق بوجود أمير عباسي يدعى "أبا العباس أحمد" حتى استدعاه، وأمر بإرساله إلى مصر، تمهيدًا لإعادته إلى بغداد، وإحياء الخلافة العباسية.

ولما تولى بيبرس الحكم بعد مقتل قطز أرسل في طلب الأمير أبي العباس أحمد، الذي كان قد بايعه قطز في دمشق، لكنه لم يحضر، وسبقه إلى القاهرة أمير آخر من أبناء البيت العباسي اسمه "أبو القاسم أحمد" واستعد السلطان الظاهر بيبرس لاستقباله فخرج للقائه ومعه كبار رجال الدولة والأعيان والعلماء، ولما وقع نظر السلطان على هذا الأمير العباسي ترجل عن فرسه إجلالا له، وعانقه، وركب معه يتبعهما الجيش حتى وصلا إلى القلعة، وهناك بالغ السلطان في إكرامه والتأدب معه، فلم يجلس على مرتبة ولا فوق كرسي بحضرة هذا الأمير العباسي.

وفي يوم الإثنين "١٣ رجب ٦٥٩ هـ = ١٩ من يونيو ١٢٦٠ م" عقد السلطان مجلسا بالديوان الكبير بالقلعة حضره القضاة والعلماء والأمراء، وشيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام، وكبار رجال الدولة، وفي هذا المجلس شهد العرب الذين قدموا مع الأمير العباسي بصحة نسبه، وأقر هذه الشهادة قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز وحكم بصحة نسبه وبايعه بالخلافة، ثم قام بعد ذلك الظاهر بيبرس وبايعه على العمل بكتاب الله وسنة رسوله، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله،

وأخذ الأموال بحقها، وصرفها في مستحقتها، ثم قام الحاضرون بمبايعة الخليفة الذي تلقب باسم الخليفة المستنصر بالله.

ولما تمت البيعة قلد الخليفة المستنصر السلطان بيبرس البلاد الإسلامية وما ينضاف إليها، وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار، وكتب السلطان إلى النواب والحكام في سائر الولايات التابعة لمصر بأخذ البيعة للخليفة المستنصر، والدعاء له في خطبة الجمعة على المنابر والدعاء للسلطان من بعده، وأن تنقش السكة باسمهما.

شرع السلطان بيبرس في تجهيز الخليفة، وإمداده بكل ما يحتاجه من جند وسلاح ومال، في سبيل إعادة الخلافة العباسية، وإقامتها في بغداد، وخرج السلطان مع الخليفة إلى دمشق، فبلغها في "ذي القعدة ٦٥٩ هـ = ١٢٦١م"، وكان في عزمه أن يمد الخليفة بعشرة آلاف جندي وفارس حتى يتمكن من استعادة بغداد من أيدي المغول، لكن السلطان بيبرس تراجع عن وعده، وأحجم عن المضي في هذا المشروع بعد أن وسوس له أحد أمرائه وخوّفه من مغبة نجاح الخليفة في استرداد بغداد لينازع بعد ذلك السلطان الحكم، فاكتفى بإمداده بقوات قليلة لم تكن كافية لتحقيق النصر على المغول، فانهزم الخليفة، وقُتل هو ومعظم من كان معه، في المعركة التي وقعت بالقرب من الأنبار في "المحرم ٦٦٠ هـ = ديسمبر ١٢٦١م".

تهيأت الأحداث لإحياء الخلافة العباسية مرة أخرى، فأرسل بيبرس في استدعاء الأمير "أبي العباس أحمد" الذي سبق أن بايعه قطز، وكان قد نجا ونحو خمسين فارسًا من الهزيمة التي لحقت بالخليفة السابق، فوصل إلى القاهرة في "ربيع الآخر ٦٦٠ هـ = مارس ١٢٦٢م" واحتفل بيبرس

بقدومه، وأنزله البرج الكبير بقلعة الجبل، وعقد له في "٨ من المحرم ٦٦١ هـ = ٢١ نوفمبر ١٢٦٢م" مجلسًا عامًا بالديوان الكبير بالقلعة، حيث قرئ نسبه على الحاضرين، بعدما ثبت ذلك عند قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز، ولقب بالحاكم بأمر الله،

وبايعه السلطان على العمل بكتاب الله وسنة رسوله، فلما تمت البيعة أقبل الخليفة على السلطان، وقَلّد أمور البلاد والعباد، ثم قام الحاضرون بمبايعة الخليفة الجديد، وخُطب له على المنابر في مصر والشام وبهذا الإجراء الذي تم في هذا اليوم أُحييت الخلافة العباسية للمرة الثانية بالقاهرة، غير أن الظاهر بيبرس، لم يفكر في إعداد هذا الخليفة الثاني لاسترجاع بغداد وإحياء الخلافة بها، وإنما استبقاه في القاهرة ليكون على مقربة منه وتحت عينه، وجعل سلطته محدودة، لا تتعدى ذكر اسمه في الخطبة في مصر والأمصار التابعة لها، واستمرت الخلافة العباسية بمصر إلى أن فتحها العثمانيون على يد السلطان "سليم الأول".

وجدير بالذكر أن الخلافة العباسية لم تكسب في إحيائها كثيرًا، بعد أن صار الخلفاء العباسيون في مصر يفوضون السلاطين المماليك في إدارة شئون البلاد العامة دون تدخل منهم، واقتصر دورهم على حضور حفلات السلطنة وولاية العهد، وتهنئة السلاطين بالشهور والأعياد.

ومنذ أن أقيمت الخلافة العباسية في القاهرة تمتع السلاطين المماليك بمكانة ممتازة بين ملوك العالم الإسلامي؛ باعتبارهم حماة الخلافة والمتمتعين ببيعتها، كما حظيت القاهرة بشهرة دينية علمية واسعة بعد أن صارت حاضرة الخلافة العباسية الجديدة.

# دولة العباسيين

# بعد زوال خلافتهم ١٥١٧ - ١٩٦٧

نشأت عدد من الدول التي حكمتها السلالة العباسية، بحكم موقعها ورمزيتها في العالم الإسلامي بعد زوال الدولة العباسية وفي بعض الحالات قامت الإمارات العباسية قبل زوال خلافتها وإن كان بشكل مستقل عنها، كما لم يطلب أحد من هؤلاء الأمراء الحق بالخلافة بعد زوال الخلافة العباسية نهائيًا عام ١٥١٧ أو بعد إلغاء الخلافة عام ١٩٢٢. وعمومًا فإنه لا يزال إلى اليوم، يعيش في مختلف بقاع العالم الإسلامي عدد كبير من الأسر التي تعود بأصلها للأسرة العباسية، ومنها بشكل أساسي في المملكة العربية السعودية واليمن وتركيا وإيران وبلاد
الشام ومصر والسودان والهند وباكستانوأفغانستان وأوزباكستان. وعلى الرغم من انقراض آخر دولهم عام ١٩٦٧ إلا أنه قد برز عدد من العباسيين في مواقع مؤثرة، كالرئيس السودانيعمر حسن البشير والشيخ أبو قصي ماجد العباس مؤذن المسجد الحرام في مكة وغيرهما .

إمارة بهدينان :أقدم الإمارات العباسية المستقلة تأسيسًا، ويعود قيامها إلى عام ١٣٦٧ في كردستان العراق على يد الملك بهاء الدين العباسي أحد أحفاد الخليفة المستعصم بالله .وكانت مدينة العمادية الواقعة في محافظة دهوك حاليًا عاصمتها وقد تمددت في أوجها لتشمل أجزاءً من محافظتي أربيل ونينوى .عاشت هذه الإمارة زمنًا طويلاً، استطاعت فيه الحفاظ على استقلالها رغم كونها تقع على حدود إمبراطوريتين عظيمتين ومتحاربتين

بشكل دائم هما الإمبراطورية العثمانية والإمبراطورية الصفوية، وعلى الرغم من ذلك فلم تكن نهايتها على يد إحدى هاتين الإمبراطورتين بل على يد إمارة كردية منافسة وقريبة ومنها هي إمارة سوران عام١٨٣٤ ، وسرعان ما قضى العثمانيون على هذه الإمارة أيضًا وأتبعوها لولاية الموصل العثمانية. هربت الأسرة الحاكمة أحفاد المستعصم بالله إلى حلب وانتقل قسم منهم إلى جيزان واليمن، وهو مشهورون إلى اليوم بكنية "آل عاصم".

إمارة الجعليين :قامت في شمال السودان المعاصر وينتسبون مباشرة إلى العباس بن عبد المطلب مباشرة، دون أن يكونوا من ذرية أحد الخلفاء العباسيين في القاهرة أو بغداد .بعد اندثار المماليك هرب قسم من العائلة المالكة إلى السودان حيث أعلنوا استقلالهم عام ١٥٨٨ على يد سعيد أبو دبوس؛ وقد اتخذ الجعليون من مدينة شندي عاصمة لهم. توالى على حكم الإمارة سبعة عشر أمير عباسي إلى أن قضى عليها والي مصر محمد علي باشا خلال فتحه السودان عام١٨٢٣ ، موحدًا بذلك وادي النيل .

مملكة بهاولبور، قامت في بلاد السند عام ١٧٠٢ على يد الأمير محمد المبارك خان الأول، ويعود استقرار قبائل عباسية في الهند إلى بداية العهد العباسي وهم من المنتسبين مباشرة للعباس بن عبد المطلب دون المرور بالخلفاء؛ تميزت مملكتهم بالرفاه الاقتصادي والاهتمام بالعلوم والآداب خصوصًا العلوم الشرعية، لم يتم القضاء بواسطة الحرب على هذه الإمارة، بل إنه وفي أعقاب استقلال الهند عام ١٩٤٧ وتقسيمها إلى دولتين

هما الهند وباكستان اختار آخر الأمراء العباسيين في بهاولبور الانضمام طوعًا إلى باكستان في ٥ أكتوبر.١٩٤٧

إمارة بستك العباسية تأسست عام ١٦٧٣ على يد الأمير عبد القادر بن الحسن أحد أحفاد هارون الرشيد .شملت منطقة الأهواز وضفاف الخليج العربي على الجانب الإيراني من الخليج .توالى على حكمها أحد عشر أميرًا حتى قضى عليها شاه إيران محمد رضا بهلوي عام١٩٦٧ ، فكانت بذلك آخر دولة حكمت من قبل السلالة العباسية. وقد انتقلت الأسرة الحاكمة إلى المملكة العربية السعوديةوالإمارات العربية المتحدة والبحرين .

# نظام الحكم بالدولة العباسية

## الخليفة:

نظام الحكم في الدولة العباسية يستمد شرعيته من الإسلام ويتمثل ذلك بشخص الخليفة الذي هو وفق المعتقدات الدينية الإسلامية خليفة النبي محمد مباشرة ويحكم من خلال الشريعة التي أرساها .ينصّ النظام الإسلامي على أن يختار الخليفة من قبل وجهاء الدولة والمجتمع بطريقة تشبه الانتخاب وذلك مدى الحياة إذا التزم بالحق والعدل ولم يخن الأمانة الموكلة إليه كخليفة، غير أن هذه الطريقة لم تطبق أبدًا منذ العهد الأموي، حيث أخذ الخلفاء بتعيين ولي للعهد، بل إن بعضهم عمدوا إلى تسمية أكثر من ولي للعهد في وقت واحد ما ساهم في نشوب الصراع المسلّح بين ولاة العهد، كما حصل بين الأمين والمأمون .

هناك من يشير إلى كون الخلافة منصب ديني لا دنيوي أو جامع بين الطرفين، انطلاقًا من هناك كان الخلفاء العثمانيون ينادون بصيغة "خليفة المسلمين وسلطان العثمانيين"، أي أن الخليفة هو رأس الهرم والإمام الأول دينيًا ويمكن ألا يجمع في منصبه هذا صفة الحكم .غير أن عددًا آخر من الباحثين يرفضون هذه الفكرة، لكون النبي محمد قد جمع في وقت واحد بين الزعامة والسياسية. وعلى الرغم من النظريتين المتناقضتين فإن الخلفاء العباسيون قد طبقوا كلاهما، إذ قد جمعوا بين الزعامة الدينية والسياسية خلال عهودهم الذهبية، ثم عادوا في عصور الانحطاط ليشكلوا رمز الدولة فحسب بما يشبه الجمهوريات البرلمانية في العصر الراهن. ورغم كون

أغلب خلفاء آل العباس سواء في بغداد أو القاهرة لم يتمتعوا بالسلطة، إلا أن عددًا منهم حاول القبض على زمامها كما فعل المتوكل على الله أو كتب بعضهم طوعًا أو كرهًا تنازلاً للسلطان عن صلاحيات الملك كما فعل المستنصر بالله الثاني، ما يدل أن النظرية الثانية كانت الأكثر انتشارًا في العصر العباسي، قبل أن تكرّس النظرية الأولى خلال العهد العثماني.

أما الخليفة عندما كان ممسكًا بقبضة الحكم، فقد كان مطلق الصلاحية باستثناء الحدود والضوابط التي وضعتها الشريعة الإسلامية، وإن كان هناك تفاوت واضح في نسب الالتزام بهذه الحدود، حسب كل خليفة .

## السلاطين والولاة

أول لقب حازه الرجل الثاني في الدولة العباسية هو "وزير"، كانت مهمة الوزير خلال عهد القوة العباسية مساعدة الخليفة في إدارة شؤون البلاد والإشراف على تنفيذ ما يقرره الخليفة فقط. لاحقًا، وبنتيجة تولي قادة الجيش الأتراك الوزارة مال ولاء الجيش من شخص الخليفة إلى شخص قائدهم الوزير، وبالتالي مال ميزان قوة التأثير من الخليفة إلى وزيره الذي أصبح لقبه السلطان، وبات في بعض الأحيان يحصر مهام السلطنة بذريته فقط؛ لم يكتف السلاطين بذلك بل احتكروا السلطة فعليًا وقاموا لا الخلفاء، بتسيير شؤون البلاد والدولة، بل إن كثيرًا من الخلفاء قضوا قتلاً أو اغتيالاً على أيدي سلاطينهم، كما حصل مع المتوكل على الله والمسترشد بالله والمعتز بالله والمقتدر بالله وغيرهم .

لم يكن منصب السلطان واحدًا فقط خلال عهود ضعف الدولة، بل إن ولاة الولايات العباسية، قد تحولوا إلى سلاطين على ولاياتهم يحكمون فيها ويورثون حكمها لذريتهم دون أن يتركوا للخليفة أو سلطة بغداد بشكل عام، غير الخطبة في صلاة الجمعة وسك اسم الخليفة على النقد؛ وهكذا لم يكن هناك سلطان واحد بل مجموعة سلاطين مستقلين بشؤونهم الداخلية والخارجية تحت سيادة الخليفة الاسمية، بما يشبه الكونفدرالية في الوقت الحاضر، مع الإشارة إلى تحارب هؤلاء السلاطين وهذه الدول بين بعضها البعض في كثير من الأحيان، بل وتوسعها على حساب بعضها البعض حتى تستولي على بغداد نفسها كما حصل مع الدولة البويهية والدولة السلجوقية .

## الجيش

الجيش العباسي كان جيشًا دائمًا مستقرًا، يقيم أغلب جنده في بغداد إلى جانب الخليفة مع وجود جيوش منفصلة في الولايات، ومن ثم للدول التي نشأت في كنف الدولة العباسية. كان الجيش خلال عهد القوة يأتمر بأمر الخليفة ثم بات خلال عهود الضعف يتحرك بأمر الولاة والسلاطين .لم يكن هناك عسكرية إجبارية في الدولة العباسية، غير أن كل ذكر قادر على حمل السلاح يجب عليه الانضمام للجيش عند إعلان الجهاد بما يشبه النفير العام في حالات الحرب؛ والجيش العباسي هو بالمقام الأول جيش عقائدي يقوم على المفاهيم والشرائع الإسلامية والتي أبرزها نشر الإسلام وحماية الخلافة.

كان ينفق على الجيش من خزينة الدولة مباشرة، ولما زاد عدد الجند إلى درجة أثرت على الأسعار والاستقرار المعيشي في بغداد اضطر الخليفة نقل عاصمة الدولة إلى سامراء مسكنًا كتائب جيشه فيها .وفي عهود الضعف اللاحقة لعب الجيش الدور البارز في إدارة دفة الحكم وشكل قادة الجيش جزءًا أساسيًا من الطبقة الحاكمة، بل إن مهمة الجهاد والدفاع عن حدود الدولة تركت لجيوش سلاطين الولايات أغلب الأحيان، في حين اهتمّ جيش الخلافة فيبغداد بالحروب الداخلية وتعيين الخلفاء والسلاطين وعزلهم. على أن جيش بغداد قد تبع دومًا لإمرة السلطان مع وجود فصيل مستقل يدعى "حرس الخلافة" ويلقب قائده بـــ"مؤتمن الخلافة" يتبع القصر مباشرة. وعمومًا فإن جيوش الولايات كانت أكبر وأقوى من جيش بغداد وحققت إنجازات أعمق كجيشي الدولة الزنكية والدولة الأيوبية .

أما أسلحة الجيش فقد كانت بالنسبة للجندي تقليدية ممثلة بالسيوف والدروع والهروات، وتمتع الجيش بأسلحة أخرى متطورة بمقاييس عصرها كالمنجنيقوالمدقة والدبابة القديمة، غير أنه في عصور انحطاط المماليك كان الجيش من ناحية الأسلحة متخلفًا ولم يدخله البارود والسلاح الناري مطلقًا ما سهل سيطرة العثمانيين على البلاد بين عامي١٥١٦ و١٥١٧.

فكرة الإنكشارية التي ترعرعت وازدهرت لاحقًا خلال عهد الدولة العثمانية وظلت جيشها الرسمي حتى عهد السلطان محمود الثاني، إنما تأسست في كنف الدولة العباسية، ومنذ فترة مبكرة خلال خلافةالمأمون؛ بيد أن أضخم تطبيق لها كان خلال أواخر أيام الدولة الأيوبية .تقوم

فكرة الإنكشارية على شراء عبيد صغار في السن أو أسرهم خلال الحروب ومنحهم في معسكرات خاصة منذ نعومة أظفارهم تربية عسكرية وتدريبًا على حمل السلاح، وتلقينهم العقيدة الإسلامية وحماية الخليفة أو السلطان،[٩٥] وقد دعي هؤلاء في العصر الأيوبي بالمماليك، واستطاعوا الانقلاب على الأيوبيين أنفسهم وتأسيس سلطنتهم الخاصة؛ أما من ناحية المعارك فعوّل السلاطين عليهم في تحقيق النصر، سواءً في الدولة العباسية حين قضوا على إمارة طرابلس وإمارة أنطاكية التابعتين للصليبيين وصدّوا هجمات المغولوقد اشتهر عن المماليك القوّة في الحرب، أو في الدولة العثمانية حين فتح السلاطين أغلب أمصارها بواسطتهم، غير أن طلباتهم المتكررة دفعت الدولة للتخلص منهم خلال سلطنة محمود الثاني في القرن التاسع عشر .

**الدين**

يعتبر الدين الإسلامي أحد المقومات الرئيسية التي قامت عليها الدولة العباسية، وقد شهد هذا الدين في كنفها تطورًا كبيرًا كان له الأثر السلبي في بعض الأحيان وأثر إيجابي في أحيان أخرى. فإن انتشار الإسلام بين الشعوب غير المسلمة وفهم هذه الأخيرة للإسلام بطريقتها الخاصة المتأثرة بفلسفاتها ومعتقداتها القديمة، فضلاً عن الاجتهادات الخاصة لبعض الفقهاء، أدى إلى نشوء طوائف ومذاهب عديدة داخل المؤسسة الإسلامية نفسها، بعضها اندثر والبعض الآخر لا يزال حتى اليوم. من الطوائف الإسلامية التي نشأت خلال العهد العباسي المعتزلة والمرجئة والإباضية وغيرهم، كما نشأت

عن الطائفة الشيعيةعدة طوائف نتيجة اختلافات فقهية أو اختلاف حول وراثة منصب الإمام الشيعي فنشأت بذلك الطائفة الإسماعيلية والعلوية والدرزية. أيضًا فإن بدايات الصوفية نشأت في العصر العباسي وترعرعت فيه مدارسها وتقنياتها المختلفة وصيغت أدبياتها.

ولم تكن العلاقة جيدة بين مختلف الطوائف، رغم أن الباحثين يسوقون قيامها إلى الغنى الثقافي والتنوع الحضاري، إذ قامت العديد من الفتن والاقتتالات الطائفية بين مختلف الطوائف وبشكل متواتر طوال تاريخ الدولة ما أثر على وحدتها وولاء مواطنيها.

من أبرز تأثيرات العصر العباسي أيضًا، ظهور وتطور المذاهب والمدارس الفقهية التي حصرت بأربع مدارس كبرى هي الشافعية والمالكية والحنفية والحنبلية، وكانت هذه المدارس شكلاً من أشكال التنوّع في تفسير العقيدة .وغالبًا ما كان الخلفاء يحيطون أنفسهم بقضاة من المذاهب الأربعة كذلك الحال في الجامعات الكبرى المعنية بالشريعةكالجامعة المستنصرية .وتميّز العهد العباسي أيضًا بالاهتمام بجمع الحديث النبوي وغربلته بقصد التحقق من مدى دقته وصلته بالنبي محمد، وإن أشهر جامعي الحديث قد برزوا خلال العصر العباسي كالبخاري ومسلم والترمذيوأحمد وغيرهم، مما لا يزال فقهاء الإسلام يعتمدون عليهم إلى اليوم، ما يدلّ على التأثير العميق للعصر العباسي في العلوم الشرعية والفقهية .ونشأت عدة مدارس تختصّ بعلوم الحديث أشهر هذه المدارس مدرسة المدينة المنورة ومدرسة أهل الرأي

في العراق، وظهر علم "قراءات القرآن "في العصر العباسي، منعًا لاختلاف القراءات بحكم تعدد اللهجات، واختير في سبيل ذلك سبعة قرّاء اشتهروا بعلمهم وفضلهم .بل إن العباسيين حتى في الأزمنة التي كفوا فيها عن رعاية العلوم والفنون لم يكفوا قط عن رعاية المدارس الفقهية وتمويلها، وانطلاقًا من هنا فإن الغزو المغولي الذي دمر المدن الكبرى وأتلف محتويات المساجد والمكتبات في بغداد وحلب ودمشق ترك المسلمين في حال تصفها المستشرقة كارين آرمسترونغ باليتم، ففقهاء العصر المملوكي لم يكونوا مهتمين بتطوير الفتاوي والاجتهادات الفقهية بقدر ما كانوا مهتمين بإعادة تجميع ما قد ضاع وفقد منها .

على مستوى الطائفة الشيعية، فإن العصر العباسي يعتبر حاسمًا في تكوين معالم هذه الطائفة كما تبدو اليوم. إذ إن الدعوة العباسية وإن قامت على تقارب مع الشيعة إلا أنها سرعان ما انقلبت عليهم، ورغم أن العباسيين قد حفظوا الإمامة الشيعية قائمة كما تم الاتفاق بين الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان إلا أنّ أغلب الأئمة الشيعة إما اغتيلوا أو سمموا من قبل الخلفاء، وعلى الرغم من أن الإمام السادس جعفر الصادق قد حرّم التدخل في شؤون الدولة على الشيعة إلا أن العلاقة قد ظلت متوترة. الإمام الثاني عشر محمد المهدي اختفى خلال خلافة المتوكل على الله بظروف غامضة، ويعتقد الشيعة حتى اليوم أن الإمام هو في حالة غيبة بسبب استشراء الظلم والفساد في المجتمع وأنه سيعود قبل موعد يوم القيامة ليقيم الحكم الإسلامي العادل. في الحقيقة إن عقيدة غيبة الإمام التي

ظهرت في العصر العباسي ستشكل إحدى الركائز الأساسية للطائفة الشيعية ومعتقداتها .

الجدالات الدينية الإسلامية الفلسفية كانت إحدى سمات العصر العباسي خصوصًا في عهود القوة. أبرز هذه الجدالات الدينية الجدل الذي حصل حولأزلية القرآن أو خلقه، إذ قالت المعتزلة والإباضية بخلق القرآن ودعمهم الخليفة المأمون، في حين قالت الأشاعرة والسنة بأزلية القرآن. الجدل الدائر لم يحسم بعد، إذ إن بعض الفرق لا تزال تقول بخلق القرآن استنادًا إلى عدد من آيات القرآن ذاته منها :﴿ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْ.﴾ في حين أن أغلب المسلمين يرفضون ذلك استنادًا إلى كون القرآن بوصفه كلام الله جزءًا لا يتجزأ عنه، وإن جعل القرآن مخلوقًا يؤثر على حال الألوهية غير القابلة للتبديل .لطالما قارن المؤرخون وعلماء الدين المقارن بين هذا الجدال والجدال المسيحي في القرن الرابع حول خلق المسيح أو أزليته، وقد عقدمجمع نيقية عام ٣٢٥ للفصل به وانتهى للقول بأزلية المسيح تمامًا كالقول بأزلية القرآن، بوصف كليهما في دينهما "كلمة الله" .الجدال الثاني كان منبعه تضارب التفسير لآية :﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى.﴾ حيث ذهب البعض للقول بالتفسير الرمزي للآية وتمسك البعض بوجود عرش الله، وأغلب المسلمين من سنة وشيعة اليوم يقرون بالتفسير الرمزي أو التأويل لهذه الآية دونما تفسيرها حرفيًا. هناك قضايا أخرى كانت محط جدال في العصر العباسي كالجدال حول رؤية الله في يوم القيامة أو نفيه والجدل المتعلق حول جنس الملائكة والجدل المتعلق بالجبر والاختيار، وغيرهم من القضايا.

ومع كون الإسلام هو دين الدولة، غير أنه لا يمكن تحديد مذهب من مذاهبه أو طوائفه دينًا رسميًا. فخلال خمسة قرون من عمر الخلافة في بغداد، كان دين الدولة يتأثر بطائفة الخليفة، فالمأمون والمعتصم والواثق أعلنوا الاعتزال عقيدة الدولة،وقام المتوكل بتعيين الشافعية مذهبًا رسميًا، أما المستعصم بالله فكان يميل نحو الشيعة وكذلك الخلفاء الذين تعاقبوا خلال الدولة البويهية، على عكس الخلفاء الذين تعاقبوا خلال الدولة السلجوقية ومالوا نحو السنة.

## الأديان الأخرى

خلال عصر القوة والازدهار العباسي كانت العلاقة بين الدولة ومواطنيها غير المسلمين تصنف على أنها في أحسن الأوضاع خصوصًا خلال خلافتي المنصور والرشيد، وقد جاء في "المنتجب العاني" لمؤلفه أسعد علي أن الخلفاء كانوا يحتلفون بالأعياد المسيحية كعيد الميلادوأحد الشعانين حتى في قصر الخليفة، فيضع الخليفة وحاشيته أكللة من زيتون ويرتدون الملابس الفاخرة، وقد بنيت في بغداد كاتدرائيتان مع تشييد المدينة. ولعلّ أبرز الدلائل والشواهد عن التعايش الديني والعيش المشترك أشعار أبي زيد الطائي والأخطل التغلبي كذلك ما رواه ابن فضل العمري بكتابه "مسالك الأبصار" وما جاء في كتاب "مسالك الممالك" من وصف للحياة بين المسلمين والمسيحيين في البلاد التي زارها، وقد نقل في كتابه ذاته أنه الرها العباسية وجوارها كان هناك ثلاثمائة دير .كذلك

فإن كتابات المؤرخين السريان كالتلمحري وميخائيل الكبير وغيرهما تدلّ على ذلك، ومراسلات طيموثاوس الأول بطريرك كنيسة المشرق الذي جمعته صداقة مع أبي جعفر المنصورحتى لقبه "أبي النصارى"، ويذكر أيضًا عددًا من الخلفاء والأمراء والولاة كانوا يقيمون خلال تنقلاتهم في الأديرة وقد سجلت أديرة الرصافة ودير زكا ودير القائم قرب البوكمال زيارات لخلفاء عباسيين. كما أنّ العباسيين لم يجبروا القبائل المسيحية العربية كتغلب ونمر وطيءوبني شيبان وقبيلة إياد على الإسلام، وإنما الأسلمة جاءت في القرون اللاحقة التي شهدت اضطهاد الأقليات خصوصًا القرن العاشر .

كان للمسيحيين خاصّة السريان من يعاقبة ونساطرة دور مهم في الترجمة والعلوم والطب،لقد ترجم المسيحيون من اليونانية والسريانيةوالفارسية، واستفادوا من المدارس التي ازدهرت فيها العلوم قبل قيام الدولة العربية خصوصاً مدارس مدن "الرها ونصيبينوجنديسابور وإنطاكية والإسكندرية "المسيحية والتي خرجت هناك فلاسفة وأطبّاء وعلماء ومشرّعون ومؤرّخون وفلكيّون وحوت مستشفى، مختبر، دار ترجمة، مكتبة ومرصد .

وقد وصف الجاحظ وضع المسيحيين خلال العصر العباسي: "إن النصارى متكلمين وأطباء ومنجمين وعندهم عقلاء وفلاسفة وحكماء... وان منهم كتّاب السلاطين وفرّاشي الملوك وأطباء الأشراف والعطّارين والصيارفة... وأنهم أتخذزا البراذين والخيل

واتخذوا الشاكرية والخدم والمستخدمين وامتنع كثير من كبرائهم من عطاء الجزية".

أما اليهود فعوملوا كالمسيحيين، ارتقى بعضهم مناصب مرموقة في الدولة، وأصبح حاخام بغداد رأسًا للطائفة اليهودية في العالم بسبب التسامح والرعاية، وبنى الخليفة المعتضد لليهود مدرسة تلمودية في بغداد. وفي عهد الخليفة المستنجد عام ١١٧٠ قدر عدد اليهود في بغداد وحدها بأربعين ألفًا، اشتهروا خلالها بالنشاطات الاقتصادية من تجارة وصيرفة على وجه الخصوص

كذلك حال المندائيون الذين اعتبروا في الفقه الإسلامي من أهل الكتاب، وانتشروا في الأحواز وجنوب العراق وكانت مدينتي واسط وميسانعواصم لهم، وقد نقل وجود أربعمائة مشكينا في ميسان أوائل العصر العباسي، واشتهر منهم عدد من القضاة ورجال العلم والأدب .

لم يقتصر الأمر على ذلك بل إن حران وجوارها كانت مركزًا وثنيًا كبيرًا تعبد فيها الكواكب والأفلاك، وقد تسامح الخلفاء الأمويون ومن بعدهم العباسيون مع وثنية أهل حران إلى عهد المأمون.إذ إن المأمون مرّ بحران عام ٨٣٠ فاغتاظ من الوثنية وطلب من أهلها التحول إلىالإسلام أو إحدى الديانات التي يعترف الإسلام بها، فدخل الحرانيون بالصابئة غير أنهم ظلوا وثنيين ومن هنا يمكن التمييز بين طائفتي صابئة، الصابئة المندائيون في جنوب العراق والصابئة الحرانيون الوثنيون، ويمكن القول أن الحرانيين لم يقوموا سوى بتغيير شكلي ظلت حران على هذه الحال

إلى أن دمرها تيمورلنك في القرن الرابع عشر ويذكر أبو الفداء أنها قد تحولت إلى كومة خراب وانقرض دين معتنقيها بعد غزوه هذا .وعلى الرغم من هذا، فيجب الإشارة إلى أن أتباع الأديان غير الإسلامية حتى خلال هذه المرحلة، لم تكن مساواتهم بسائر الرعايا من المسلمين كاملة، فيما يخصّ الزواج أو الميراث أو إنشاء دور العبادة في بعض المراحل .

القسم الأكبر من هذا التعايش تبخر خلال عصور الانحطاط، فهدمت الكنائس ومنع أبناء هذه الأديان من ركوب الخيل ومزاولة بعض الأنشطة التجارية والاقتصادية أو الإقامة في دور مرتفعة، كما أنهم قد عوملوا كرعايا من الدرجة الثانية وأخذ السلاطين والولاة يستبدون بهم وكان البدو يقتحمون الكنائس والأديرة لسلبها على ما يذكر المؤرخ ابن بطريق والمسعودي وغيرهما. كانت إحدى نتائج ذلك، هجرة المسيحيين الذين رفضوا اعتناق الإسلام من المدن نحو الجبال، وهكذا أخذ الموارنة بالنزوح من وادي العاصي باتجاه جبال لبنان العصيّة، وكذلك سجلت حركات هجرة مسيحية نحو طور عابدينوماردين وغيرها من الأماكن المنعزلة. عمومًا لا يمكن أن يفهم أن الاضطهادات كانت مستمرة، إذ كانت تخف وتيرتها بين الفنية والأخرى؛ وقد شملت جميع الأقليات الدينية وفي بعض الأحيان حتى الإسلامية منها. يذكر أنه عندما دخل هولاكو بغداد أمر بعدم التعرض للمسيحيين لكون زوجته مسيحية ومن أتباع كنيسة المشرق الآشورية، وأمر ببناء كاتدرائية في بغداد .

# الحياة الثقافية فى العصر العباسى

**الشعر :**

عتبر الشعر في العصر العباسي ثالث حلقات الشعر العربي القديم وأكملها. الحلقة الأولى كانت الشعر الجاهلي والثانية كانت صدر الإسلام والعهد الأموي، لتكون الحلقة الثالثة العصر العباسي، حيث بلغ الشعر مبلغًا عاليًا بدعم الخلفاء والأمراء وتحسن أحوال المعيشة. وتخرّج في هذا العصر أبلغ شعراء العربية وأفصحهم ومنهم لا تزال أشعاره تتداول حتى اليوم .ولم يكن تطور الشعر في العصر العباسي تطورًا في مادته أيضًا بل في علومه أيضًا، إذ قد جمع الخليل بن أحمد الفراهيدي أوزان الشعر في خمسة عشر بحرًا ثم أضاف إليها الأخفش بحرًا واحدًا فظهر بذلك علم العروض بجهود العباسيين .وإن أبرز ما يميز الشعر العباسي تنوّع المواضيع التي طرحها، والتي شملت جميع أطياف المجتمع ومواضيعه، بل إن هذه المواضيع يمكن أن تشكل مرجعًا في دراسة الأحوال الاجتماعية والسياسية خلال مراحل الدولة العباسية المختلفة؛ فمن مدح الخلفاء خلال عهود القوة والذين قاموا بتقديم الدعم المالي للشعراء، إلى التذمر من ضنك العيش وفقر الحال واستشراء الفساد خلال عهود الضعف، كان الشعر دومًا أبرز الميادين التي تعكس حياة المجتمع، نظرًا لكونه العماد الرئيس للثقافة في العصر العباسي.

أحد أبرز التيارات الشعرية، كان تيار الغزل الماجن، ومن شعراء هذا التيار أبو نواس في قصائده المعروفة بالخمريات، وبشار بن برد الذي ولد

أواخرالعهد الأموي في مدينة البصرة جنوب العراق، ونقل أنه كان مخالطًا للعلماء والشعراء واشتهر بالتردد على الحانات ما ظهر في أدبه شعرًا ماجنًا حتى قتل بتهمة الزندقة، ومن أشعاره في وصف إحدى المغنيات البغداديات:

والأذن تعشق قبل العين أحيانا　　أذنـــي لـبـعض الحيّ عاشقةٌ

يزيد الصبا محبًا فيك أشجانـا　　فاسمعيني صوتًا طربًا هزجًـا

وفي مقابل الشعر الماجن، برز الشعر الديني بشكل قوي في العصر العباسي، وقد انقسم الشعر الديني في ذاته إلى تيارات مختلفة؛ منها من امتدح النبي محمد وأركان الإسلام ورموزه، وقد استمرّ هذا التيار سائدًا حتى عهد الخلافة العباسية في القاهرة ومن قصائده المرموقة قصيدة "البردة "للشاعر البوصيري، والتي نظمها في أعقاب خلع النبي محمد لبردته في الحلم على رجلي الشاعر، فعادت إليهما الحياة بعد الشلل، فالقصيدة حسب معتقدات الشاعر، أشبه بشكر للنبي ومدحه ومنها:

والفريقين من عرب ومن عجمِ　　مـحـمـدٌ سيد الكونـين والثقلين

لكل هول من الأهوال مقتـحـمِ　　هو الحبيبُ الذي ترجى شفاعتـهُ

أما النوع الثاني من الشعر الديني، فهو التيار الذي غلب عليه الزهد والتأمل الفلسفي في الحياة والله، ولعلّ أبو العتاهية المولود في الأنبار عام ٧٥٠ أبرز شعراء هذا التيار، بل إن البعض من الباحثين يعتبره مؤسسًا لتيار الزهد الشعري كما يعتبرونه قد ارتقى بالشعر الزاهد ليبلغ الفلسفة والحكمة؛ وعندما توفي عام ٨٢٥ كان قد ترك دووادين عدة

في الشعر الزاهد، رغم أنه لم يلتزم في جميع قصائده بقواعد الشعر كالعروض .ومما قاله أبو العتاهية في الزهد :

إنما الدنيا كبيتٍ، نسجته العنكبوتُ  إنما الدنيا فناءٌ، ليس للدنيا ثبوتُ

وقد بلغ الشعر الزاهد لدى بعض الشعراء كأبو العتاهية نفسه مبلغًا أنكر من خلاله جدوى الدين واكتفى بالتسليم بالله؛ أما النوع الثالث من الشعر الديني، فهو التيار الصوفي، وقد تعدد رواده ليس فقط في الدولة العباسية وإنما في الأندلس أيضًا. من الشعراء الصوفيين ابن الفارض المولود في مصر عام ١١٨٠ وابن سينا الطبيب والفيلسوف والشاعر المولود في بلاد فارس عام ٩٨٠ ، وأبو حامد الغزاليالمولود عام ١٠٥٩ والذي عاصر الاقتتال الطائفي بين المعتزلة والأشاعرة، ومن الشعراء من أسس نمطًا خاصًا من الشعر الصوفي يدعى الشطح، كان من رواده أبو يزيد البسطامي .

بعيدًا عن الشعر الديني، فقد استمر الشعراء العباسيين بالافتخار بأنفسهم والاعتداد بما صنعوا أو الافتخار بقبائلهم. قال الشاعر المتنبي أحد أبرز شعراء العصر العباسي مفتخرًا بموقعه في المجتمع الذي أخذ الفساد فيه بالانتشار

وقام صفي الدين الحلي بالسير على عادة العرب القدماء بالافتخار بقبائلهم وقوتهم في ساحات الوغى، وإلى جانب قصائد المدح، فقد كان للهجاء نصيبًا في الشعر العباسي، وأغلب الشعراء قد كتبوا في هذا النمط الشعري ومنهم دعبل الخزاعي من مواليد البصرة عام ٧٦٩ في هجاءه والي

الرحبة مالك بن طوق .وإلى جانب المدح والهجاء كان للرثاء دور في الشعر العباسي وأبرز من نظم قصائد الهجاء الشريف الرضي وأبو تمام . ولم يغب الشعر الوصفي الذي درج عليه العرب القدماء عن ساحة الشعر العباسي، بل إن أغلب الشعراء استهلّوا قصائدهم بوصف الطبيعة أو غيرها من المواضيع قبل الولوج في صلب الموضوع الخاص بقصيدتهم، ولعلّ صفي الدين الحلي وأبي تمام من أبرز شعراء الوصف في ذلك العصر. ومن التيارات الشعرية الأخرى التي انتشرت كان شعر الغزل الذي احتلّ النصيب البارز إذ تتعدد القصائد التي تصف الحبيب وتتغزل بشيمه وأوصافه، والتيار الاجتماعي وأبرز شعرائه ابن فارس وأبو العلاء المعري، فضلاً عن محاولة تأريخ الأحداث وحل المساجلات الدينية من خلال الشعر.

وإن كان الشعر العباسي هو بالدرجة الأولى شعر عربي، غير أنه قد برز العديد من الشعراء الذين شادوا بلغات أخرى خصوصًا الفارسية والتركية ولاقوا دعم الأمراء والسلاطين في مناطقهم. من أمثال هؤلاء جلال الدين الرومي المولود عام ١٢٠٧ والذي كتب بالفارسية وأسس الطريقة المولوية وفي ديوانه المثنوي خمس وعشرون ألف بيت شعر؛ وهناك منصور أبو القاسم الفردوسي المولود عام ٩٤٠ مؤلف ملحمة الشاهنامه، ومن الشعراء الذين كتبوا بالتركية يونس الإمري .

**الأدب**

كان الأدب أحد المجالات الثقافية البارزة في العصر العباسي، وقد تطورت العلوم الأدبية بشكل كبير فظهر فن السجع وفن المقامات، وهي عبارة عن قصص خيالية لبطل أوحد عادة ما تكون ذات مغازي أو تهدف للمطالبة بإصلاحات معينة؛ وكان أول من صاغها بديع الزمان الهمذاني، وقد غلب عليها التكلف الأدبي، وأحد أشكالها المقطع الآتي في وصف ظلم أحد القضاء للهمذاني :"وأقسم لو أنّ اليتيم وقع في أنياب الأسود، بل الحيّات السود، لكانت سلامته أحسن من سلامته إذا وقع في غيابات هذا القاضي وأقاربه" .كما انتشر فن الروايات والقصص ذات العبر ككتاب كليلة ودمنة لابن المقفع والذي مرر من خلاله نقدًا لاذعًا لولاة الأمر على ألسنة حوار جرى في مملكة الحيوان، رغم أن النصّ الأصلي قادم من الأدب الفارسي غير أنّ ابن المقفع قد زاد عليه ومن خلال ترجمته لعب دورًا بارزًا في المجتمع العباسي ومنه تحول إلى أدب عالمي .ولابن المقفع كتابات أخرى أدبية تعكس الحالة الثقافية السائدة كمؤلفه "الأدب الصغير" .في حين نحا الجاحظ في مؤلفه البخلاء إلى سرد قصص قصيرة وفكاهية حول نوادر البخلاء، وقد نال كتابه نجاحًا عارمًا في أوساط المجتمع العباسي.

خصائص الأدب العباسي، تتميز بفصاحة اللغة المستعملة من ناحية، وتنوع الأساليب الأدبية، فخلال المراحل الأولى من عهد الدولة كان الأدب يستعمل جملاً قصيرة وذات معاني واضحة مبتعدًا عن التكلّف الأدبي أو فنون الخطابة من زخرفة لفظية أو ترادف وتضاد وسجع وسواه، ومع ازدهار الدولة وظهور العدد الوفير من الأدباء والشعراء والقصاصة، أخذ

تجميل النصوص والعناية بمفرادتها يصبح أمرًا شائعًا بل تحوّل في واقع الأمر، إلى منافسة بين الأدباء وسجالات في بعض الأحيان، كالسجال الذي نشأ أواخر القرن العاشر بين بديع الزمان الهمذاني والخوارزمي، وأحيانًا كانت السجالات تتخذ مواضيع معينة كالنقاش حول أفضليةالديك أو الطاووس أو منافع الكلب ومساوئه، أو إبداء الرأي في السجالات الدينية القائمة والصراعات بين المذاهب والمدارس المختلفة، حتى شبه البعض تلك المرحلة بالنقاشات السفسطائية .ومال عدد من النقاد السالفين والمعاصرين، إلى اعتبار التكلّف الأدبي رغم جماليته، نوعًا من أنواع الضعف حيث يغلب الشكل على المعنى، وتُحدّ الجمل بالقيود اللفظية والزخارف البديعية .وقد تراجع الأدب العباسي بدرجة كبيرة، خلال العصر المملوكيوزمن الخلافة العباسية في القاهرة.

وإلى جانب الأدب المكتوب، انتشر الأدب المحكي ومنه قصص ألف ليلة وليلة التي يندرج تحت إطارها جميع القصص الخيالية التي دونت بالعربيةومنها سندباد وعلي بابا وعلاء الدين والمصباح السحري وغيرها من القصص التي كانت تروى في جلسات السمَر بشكل شفهي وتتناقل على ألسنة الحكواتية حتى تمّ تدوينها في القرن العاشر لمحاولة ضبط النص .ورغم أنتشارها في أوساط العامة غير أن نصوصها كانت مزخرفة بمجملات العبارات ومطعمة بالأشعار المحلية، ويمكن أن يدرج تحت هذا التصنيف الأدبي أيضًا قصص الزير سالم وعنترة بن شداد، وهي على الرغم من كونها قصص تاريخية حقيقية إلا أنه قد تم توسيعها وزخرفتها لتناسب الذوق العام .وعندما ترجمت إلى اللغات

الأوروبية عام ١٧٠٤ قصص ألف ليلة وليلة للمرة الأولى لاقت نجاحًا منقطع النظير وقد شرحها وعلّق عليها أكثر من كاتب واستمرت دور النشر في أوروبا بإعادة طباعتها حتى١٨٣٨ ، ما دفع الناقدة رنا قباني لاعتبار قصص ألف ليلة وليلة وأدبها ثورة القرن الأدبي في أوروبا .بل وقد أثرت هذه القصص على الكتاب الأوروبيين نفسهم فظهر على سبيل المثال التشابه بين رواية كليوماد في فرنسا وقصة "الحصان المسحور" العربية، ورواية بيير دو بروفانس المطابقة لقصة "قمر الزمان" المندرجة ضمن أدب ألف ليلة وليلة أيضًا. ويرى عدد من النقاد أن مجنون ليلى التي تندرج ضمن الأدب العباسي وتعكس علاقة الغرام بين قيس وليلى، قد اعتمد عليها ويليام شكسبير في مسرحيته" روميو وجولييت ."فعلى الرغم من أن المسعودي لم يجد لهذه القصص أي أهمية سوى التسلية الهابطة وذلك في كتابه "مروج الذهب"، وكذلك ابن حاتم حين أشار إلى انتفاء قيمتها الأدبية، إلا أن الأدب العباسي قد بلغ ذروة نجاحه عن طريقها، سواءً في الشرق أو في الغرب .

وتشير رنا قباني أن سبب نقد مثقفي العباسيين كالمسعودي وابن حاتم لهذا التيار الأدبي، يعود لانتشاره في أوساط العامة ولتركيزه على اهتماماتهم؛ فيغلب قصصه تناول جمال النساء ومكرهنّ وخبثهن، والإشارة إلى البذخ والثروات الطائلة. فهو أدبٌ موجه أساسًا لجمهور ذكوري وفقير.[١٥٠] إلى جانب هذا النوع من الأدب انتشر في العصر العباسي أدب الرحلات، وأقبل الناس على هذا النوع الأدبي لما تضمنه من معلومات عن أقطار الدولة البعيدة أو حتى تلك تقع في الصين أو الهند، لمعرفة طرق

حياتهم ومن كتاب أدب الرحلات الإدريسي الذي كتب عن جنوب شرق آسيا في القرن الثاني عشر. ولم يكن أدب الرحلات دومًا أدبًا علميًا دقيقًا فأدخلت عليه الأساطير والمبالغات التي استسيغت في المجتمع كأسطورة بلاد الواق واق والتي ذكر عنها ابن خرداذبة في القرن التاسع أنها كثيرة الذهب حتى أن أهلها يتخذون سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم من الذهب .

## نحو اللغة

شهد العصر العباسي تطورًا هامًا في بنية اللغة العربية .إن أغلب الباحثين يعيدون نشأة النحو العربي إلى أبو الأسود الدؤلي والذي كان أيضًا أول من وضع النقاط على الحروف في الأبجدية العربية، غير أن التطور الهام للغة إنما تمّ خلال المراحل اللاحقة للدؤلي، خصوصًا في العصر العباسي، حيث اشتهر فيه أبرز النحاة كعيسى بن العمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء والخليل بن أحمد وسيبويهالملقب "إمام العربية"، ويونس بن حبيب والكسائي مؤسس مدرسة الكوفة في النحو، والأصمعي والزمخشري وسواهم. وخلال هذا العصر، أعيد ترتيب الأبجدية بالشكل المتعارف عليه اليوم، بعد أن كانت مرتبة وفق الترتيب التقليدي للغات السامية. كما ظهر التشكيل بالشكل المتعارف عليه اليوم، وذلك على يد الخليل بن أحمد الفراهيدي . سوى ذلك، فإن اختلاط العرب بالشعوب الغير عربية والتفاعل الحضاري بين هذه الشعوب، أدى إلى دخول العديد من المصطلحات

الغير عربيـــة إلـــى هـــذه اللغـــة ومنهـــا كلمـــة بيمارســـتان الفارســـية الأصل والتي تعني المستشفى، وكلمـــة "عمـــق" العربيـــة المنحوتـــة مـــن فعل "عمقو" في السريانية .بـــل إن ازدهـــار العلـــوم وتطـــور الآداب دفـــع إلى ظهـــور مصـــطلحات جديـــدة كـــالجوهر والحـــد والجبـــر والعنصـــر والترياق وسوها ما دفع البحتري للقول: "أراكـــم تتكلمـــون بكلامنـــا، فـــي كلامنا، بما ليس في كلامنا" .وهو ما دفـــع أيضًـــا إلـــى ظهـــور المعـــاجم والقواميس الخاصـــة باللغـــة العربيـــة، مســـتندة إلـــى القـــرآن والشـــعر الجاهلي بشكل رئيسي، وكان الخليل بن أحمـــد أول مـــن جمـــع قاموسًـــا سماه "العين"، على أن القواميس اللاحقـــة قـــد نالـــت شـــهرة أكبـــر ولا تـــزال مســـتعملة حتـــى اليـــوم، كلســـان العـــرب لمؤلفـــه ابـــن منظور والقاموس المحيط للفيروزآبادي .

وقد أدى هذا الاختلاط أيضًا وبشكل تدريجي، إلى نشوء اللهجات المحلية في العربية خصوصًا خلال عهد الدولة المتأخر؛ ويعود سبب نشوء اللهجات واختلافها إلى اللغات التي كانت سائدة قبلاً، فتأثرتاللهجات الشامية والعراقية بالسريانية واللهجة المصرية بالقبطية أما لهجات المغرب العربي فقد تأثرت باللغتين الأمازيغية والبربرية.

# الفن والعمارة

اهتم العباسيون خلال عهود قوتهم بالناحية العمرانية عناية واضحة، فأنشؤوا عددًا من المدن الجديدة برمتها، ولعلّ أشهرها عاصمة الدولةبغداد ومن المدن الأخرى التي شيدها العباسيون سامراء والمتوكلية والرحبة في الجزيرة السورية وغيرها. كما قام العباسيون بإنشاء شبكة واسعةً من الطرق والجسور خصوصًا في العراق حاضرة الخلافة، وشيدوا المدارس والجامعات والمستشفيات والحمامات العامة في المدن الكبرى وقد ذكر المؤرخ ابن جبير أن في مدينة دمشق وحدها أكثر من مائة حمام، إضافة إلى التكايا التي تستضيف الفقراء والفنادق المخصصة باستقبال الغرباء عن المدينة؛ كما قام العباسيون بتزويد الطرق العامة سواءً في المدن أو خارجها بصنابير المياه بحيث يستطيع عابر السبيل أن يرتوي من الطريق مباشرة

تأثر فن العمارة العباسية بالعمارة العراقية القديمة خصوصًا الأشورية وكذلك العمارة الفارسية، ولعل تصميم بغداد بشكل دائري له أربع أبواب هو أحد أبرز أوجه التأثر بالعمارة الآشورية إذ إن المدن التي بناها المسلمون سابقًا إما مربعة كالقاهرة أو مستطيلة كالفسطاط، ومنالعراق انتقل هذا النمط المعماري عن طريق الولاة والسلاطين إلى مصر وبلاد الشام .في حين يشكل استعمال الآجر والطين لبناء القصور بدلاً من الحجارة أبرز تأثرات العمارة العباسية بالعمارة الفارسية خصوصًا خلال العهد الساساني .

تمازجت مع العمارة فنون الزخرفة التي وصفها عدد من النقاد بأنها لغة الفن الإسلامي؛ وقد كانت زخرفة المساجد والقصور والقباب الميدان الأساسي لها، بأشكال هندسية أو نباتية عرفتها أوروبا بالاسم الفرنسي "Arabesque"وتعرف اليوم بالزخرفة العربية، وقد انتشر هذا المصطلح في العالم العربي حديثًا للإشارة إلى الزخرفة العباسية، على أن جذر الكلمة لغويًا يأتي بمعنى "التوريق". كما انتشر في العصر العباسي بنوع خاص الفن التجريدي رغم أن نشأته كتيار فني تعود للعصور الحديثة، إلا أنّ العباسيين وخلال زخرفاتهم عملوا إلى عزل عنصر الزخرفة كالورقة أو الزهرة عن محيطها، أي عمد الفنان العباسي بتجرديها عن محيطها الطبيعي الذي يعطي إحساسًا بالذبول والفناء مانحًا إياها شعورًا بالداوم والبقاء.

وإلى جانب الزخرفة النباتية، درجت زخرفة الأحرف العربية وازدهرت حتى أصبحت علمًا قائمًا ممثلاً بعلوم الخط العربي، رغم أن نشأته تعود لما قبل الإسلام .ومن أشهر أنواع الخطوط الخط الكوفي وخط الرقعة .وكذلك وعلى الرغم من عدم استساغة علماء الدين المسلمين لتصوير الإنسان أو الحيوان، إلا أن الخلفاء العباسيين قد اعتنوا بالأمر كما تدل جدران القصور المكتشفة في شرق الأردن وسامراء .ويصنف النقاد الزخرفة العباسية بكونها زخرفة "كارهة للفراغ"، إذ يقوم الفنانون برسم الزخارف من الحجم الكبير والمتوسط والصغير بحيث تملأ جميع الفراغات بزخارف ولو كانت متناهية في الصغر .كما اشتهر العباسيون الفسيفساء القادمة منالحضارة البيزنطية.

# الموسيقى والغناء فى العصر العباسى

ال ابن خلدون :"ما زال فن الغناء يتدرج عند العرب حتى كمُل أيام بني العباس" .ويقول عدد من النقاد :إن الموسيقى العربية في العصر العباسي بلغت ذروة مجدها من ناحيتي الأداء الغنائي وانتشار العلوم والبحوث والدراسات الموسيقية. واستمرت بغداد حتى منتصف القرن التاسع الميلادي مركزاً حيوياً تنبعث منه إشعاعات النهضة الموسيقية العربية .وقد اقترن تطور الموسيقى بحالة الرخاء الاقتصادي في الدولة خلال عهود قوتها من ناحية، وبدعم الخلفاء غير المنقطع لها منذ مؤسس الدولة أبو العباس السفاح الذي أحب غناء سلمك الفارسي، مرورًا بالخليفة المأمونالذي كان يروقه بنوع خاص الغناء الإغريقي اليوناني وهو من أمر بترجمة الأصول النظرية للموسيقى إلى العربية فشكل بذلك أساس العلوم الموسيقية النظرية؛ وموسى الهادي الذي كان ابنه عبد الله مغنيًا ويجيد العزف على العود، وهارون الرشيد الذي أنفق ثروة في منح الجوائز للمغنين والملحنين، وكان الخليفة الواثق بالله حسب شهادة المؤرخ حماد بن إسحق الموصلي :بأنه أعلم الخلفاء بهذا الفن، وأنه كان مغنيًا بارعًا وعازفًا ماهرًا على العود .وقد لقي الفن من التشجيع والكرم في بلاطه ما يجعل المرء يظن أنه تحول إلى معهد للموسيقى، بدلا من كونه مجلسًا لأمير المؤمنين .

وقد تمازجت الموسيقى العربية واختلطت، بأنواع الموسيقى السريانية والفارسية وشكلت معها مزيجًا متماسكًا حتى القرن العاشر، حين دخلت

وبنتيجة وفود قبائل السلاجقة والأكراد الآلات النفخية، وأخذت تحلّ مكان الآلات الموسيقية الوترية التي كانت العماد الرئيسي للموسيقى العربية، ما دفع عدد من المؤرخين لإبداء استيائهم من هذا التغير .وقد دوّن لنا المؤرخون عددًا من أبرز الفنانين والملحنين الذين تألقوا خلال العصر العباسي في مجالس خلفاء العصر العباسي الأول، وهم: حكم الوادي، وإبراهيم الموصلي، وإبن جامع، ويحيى المكي، زلزل، ويزيد حوراء، وفليح بن أبي العوراء، وعبد الله بن دحمان، والزبير بن دحمان، وإسحاق الموصلي، وبرهوم، ومحمد الرف، وزرياب وقمر البغدادية، إلى جانب آخرين .والفن العباسي سابق للفن الأندلسي الممثل في الموشحات الأندلسية وسواها، بل إن المؤرخين والنقاد يجعلون من الفن الأندلسي متأثرًا بالفن العباسي وكذلك الفن الموسيقي المغربي.

وبنتيجة هذا الاهتمام بالموسيقى ومجالس الطرب، نشأت العلوم الموسيقية فقام الكندي في كتابه "رسالة في خبر تأليف الألحان" باستعمال الحروف والعلامات في تدوين الألحان منشئًا بذلك النوطات، و"كتاب الموسيقى الكبير" للعالم والفيلسوف الفارابي، و"كتاب الأغاني "للأديب أبي الفرج الأصفهاني وقد أهداه لسيف الدولة الحمداني، وكتاب "الأدوار" لصفي الدين الحلي والذي يقول الناقد كروسلي هولاند أنه كان الأساس لجميع ما تبعه من مؤلفات تتناول الجوانب العلمية في الموسيقى أو التحلين، وكذلك تطرق ابن سينا الطبيب المعروف في كتابه "الشفاء" لدور الموسيقى في العلاج وأنواع الموسيقى الملائمة لها .

على أنه قد اقترنت مجالس الطرب عادةً بخلاعة جنسية تقوم بها إماء الخليفة أو السلطان، وكذلك بشرب الخمور، وكلا الأمرين مما لا تبيحهما الشريعة الإسلامية؛ هذا ما دفع عددًا من الفقهاء وعلماء الدين إلى تحريم الموسيقى والغناء،وذهب الباحث رضا العطار بإن أغلب الفقهاء العباسيين حرّموا الموسيقى والغناء وكان أشدهم بذلك أنس بن مالك المتمذهب بالمذهب الشافعي حتى اعتبر أن الإنسان لو ترنّم لنفسه في خلوته فذلك خطيئة، ويشير العطار أن أبو حامد الغزالي كان الوحيد ممن أشار صراحة إلى عدم تحريم الشريعة الإسلامية للغناء .

# العلوم والحياة العلمية
# فى العصر العباسى

لم يكن لدى العرب في شبه الجزيرة العربية علومًا متنوعة، ولم يركز الأمويون اهتماماتهم على مجالات متنوعة في العلوم، لذلك فإن تأسيس العلم العربي فعليًا يعود للعصر العباسي، معتمدًا في البداية على ترجمة أعمال الفلاسفة والعلماء اليونان كأرسطو وأفلاطون، وذلك بدعم من الطبقة الحاكمة. وفي المرحلة الثانية أصبح العلماء العباسيون يضيفون ويبتكرون في العلوم النظرية والتقنية على حد سواء. خلال تلك المرحلة، كان الجهل والأمية متفشيان في أوروبا بشكل مريع، ولولا جهود الخلفاء وحاشيتهم لكان العلم الإغريقي القديم قد اندثر تمامًا. يقول في هذا الصدد المؤرخ الفرنسي لومبادر في كتابه "الإسلام في فجر عظمته" الصادر عام ١٩٧٣ أنه بينما نست أوروبا العلوم، ظل العرب في جامعاتهم يدرسون إقليدس وفيزياء العناصر ومخروطيات أبولونيوس وأرخميدس وبطليموس، ما أدى إلى تحول العربية إلى لغة العلوم العالمية، فأنتج العباسوين علماءً في الفلك وعلوم الطبيعةوالفيزياء والطب ورياضياتيين يصفهم المؤرخ نفسه بأنهم "من الطراز الأول".وقد شاطره ذلك الرأي المؤرخ الفرنسي رونان حيث صرّح :إنّ العلم حقًا أحد مؤسسات الحضارة الإسلامية، ولم يقم محسنون بتشجيعه فقط، بل إن الخلفاء قاموا بتأسيسه وتنميته. وتجدر الإشارة أن أمويو الأندلس قد قاموا أيضًا بتشجيع العلوم، وعن طريق قرطبة، أكثر

مما هو عن طريق بغداد انتقلت هذه العلوم نحو أوروبا، باستثناء مرحلة الحروب الصليبية والسفارات المتبادلة قبلها. وساهمت هذه العلوم لدى انتقالها في بناء الحضارة الإنسانية الحديثة. ويقول ألكسندر كويريه في هذا الصدد :إن العرب في بغداد وقرطبة كانوا معلمي الغرب ومربيه. لأنه لم يترجم العرب أعمال اليونان الفلسفية والعلمية إلى العربية وفقط، بل أضافوا إليها مؤلفات برمتها. ولأنه لم يكن هاك في الغرب شخص يمكنه أن يفهم كتبًا لها صعوبة فيزياء أو ماورائيات أرسطو أو مؤلف بطليموس "المجسطي". فاللاتينيون بمعزل عن عونالفارابي وابن سينا وابن رشد بشروحهم وتعليقاتهم على هذه المؤلفات، لم يكن ليصلوا يومًا إلى فهم تلك الكتب .

غير أن لومبادر وكويريه، وكذلك جورج مينوا قد أشاروا إلى انهيار شبه تام للعلوم في الدولة العباسية منذ القرن العاشر، ذلك لا يعود فقط لتدهور الاستقرار السياسي وتراجع حال المعيشة، بل لبروز تيارات دينية متشددة استطاعت السيطرة على القصر وأثرت على العلوم بشكل سلبي، وإحدى هذه التيارات كما اتفق المؤرخون الثلاثة المدرسة الحنبلية التي ركزّت على سلبية التعاطي مع أي علم أو كتاب غير القرآن والسنة، ونحا بعض علمائها لاعتبار فلسفة ذلك الزمان زندقة، وجاء في إحدى أدبيات الحنابلة :لا تفرط في دراسة الكواكب، إلا لمساعدتك على تحديد ساعات الصلاة. لا أكثر من هذا. ويضيف كويريه أن الفكر العقلي الجدلي الذي كان أحد أبرز مميزات الحضارة قد تراجع مع السلاجقة واختفى مع

الاجتياح المغولي وبالتالي كفّ العرب عن البحث والتحديد واكتفوا بالنقد والتقليد.

ومن أبرز المنجزات العلمية في العصر العباسي، رسم أول خارطة للعالم بأسره على يد الإدريسي المولود في سنة ١١٠٠ وقد ظلّ كتابه "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، كتاب الجغرافيا الأول في الشرق والغرب.[ ومن العلماء العباسيين البارزين أيضًا، ابن الهيثمالمولود عام ٩٦٥ والذي ألف مائتي كتاب في الطب والفلسفة والرياضيات والفيزياء ولعلّ كتبه حول الأشعة وانكسارها وانعكاسها أبرز ميادين كتاباته، وقد حاز مؤلفه "المناظر" الذي درس به الأشعة شهرة عالمية. ويعود له أيضًا عدد من الابتكارات كصقل العدسات المحدبة والمقعرة .وأيضًا عبد الله البتاني الذي ولد في الرقة وعاش بها عام ٨٥٠ ، واشتهر بعلم الرياضيات حيث أكمل تنسيق الزوايات خصوصًا الجيب وجيب التمام والظل، وناقش نظريات بطليموس حول الكواكب وزاد عليها في كتابه "تعديل الكواكب" وكتابه "زيج البتاني".هناك أيضًا ابن سينا المولود في بخارى عام ٩٨١ وله مؤلفات في مواضيع شتى أجلّها "القانون في الطب" وهو موسوعة تحتوي خلاصة ما توصل إليه الإنسان في هذا المجال، وقد ظل متداولاً ومتدارسًا في مختلف أصقاع العالم حتى القرن السادس عشر .وفي مجال الصيدلة برز ابن البيطار الذي ولد في الأندلس عام ١١٩٧ وطاف أوروبا واستقر في دمشق إلى أن توفي عام١٢٤٨ ، وساهمت رحلاته في معرفته أنواع النباتات وتركيب عقاقير طبية منها. وقد ألف ابن البيطار عددًا من الكتب أبرزها "الجامع في المفردات الطبية"، ويعتبر من رواد طريقة الاستنباط

العلمية، إلى جانب جابر بن حيان العالم الكيميائي الذي نال دعم هارون الرشيد وأسس وتلامذته منهج التجربة في العلوم .

وهناك أيضًا الكندي وهو من أبرز الفلاسفة، والرازي الذي كان له مؤلفات طبية أبرزها "الحاوي" ومؤلفات فلكية ناقش خلالها كروية الأرض وعدم تمركزها في قلب العالم؛ كما اشتهر علم التأريخ وفق الروايات المتناقلة ومن المؤرخين ابن كثير والمقريزي، وانبثق منه علمأنساب العرب وتدوين سير أعلامهم ومن الكتب الهامة في هذا الصدد كتاب "وفيات الأعيان" لابن خالكان. ومن العلوم التي نشأت أيضًا في كنف العباسيين، علم الجبر، وكذلك فقد ابتكر الخوارزمي أول لوغاريتم في العالم .ولم يقتصر الأمر على المسلمين، إذ برز العديد من العلماء غير المسلمين كثيوفيل بن توما الذي شغل منصب كبير علماء الفلك لدى الخليفة، وقيس الماروني المؤرخ الذي وضع مؤلفًا أرخ به تاريخ البشرية منذ خلق آدم وحتى خلافة المعتضد، وجرجس بن بختيشوع المولود عام ٧٧١ وجبريل بن بختيشوع تلميذه المولود عام٨٠٩ وهم أبناء أسرة مسيحية من الأطباء والعلماء وحنين بن إسحاق وابن اخته حبيش بن الأعسم، وعبد المسيح الكندي من القرن التاسع ويوحنا بن ماسويه والذي كان وأبيه قبله، مدير مشفى دمشقخلال خلافة هارون الرشيد، وغيرهم. وفي الواقع، فإنه من الصعب حصر جميع علماء العباسيين ومؤلفاتهم لكثرتها وتنوعها.

## الترجمة

اهتمّ العباسيون بترجمة الكتب والمخطوطات القديمة إلى العربية، فشكل ذلك بداية الثورة الفكرية والحضارية في العصر العباسي. كان العرب يجهلون اللغة اليونانية التي دونت بها أغلب المؤلفات العلمية القديمة أمثال أرسطو وأفلاطون وغيرهما، ومع اهتمام الخلفاء خصوصًا أبو جعفر المنصور وهارون الرشيد وابنه المأمون بالعلوم، عهدوا بعملية الترجمة إلى السريان وبشكل أقللفرس.

وقد كانت الترجمات تتم على مرحلتين، من اليونانية إلى السريانية ومن السريانية إلى العربية .كذلك فقد نقل العرب، الأدب السرياني بكامله إلى لغتهم وقد اعترف المؤلّفون العرب القدماء، كابن أبي أصيبعة، والقفطي، وابن النديم والبيهقي، وابن جلجل وغيرهم، بقصّة غزو العرب للأدب السريانيّ والمؤلّفات التي ترجمت عن السريانيّة إلى العربيّة في أرجاء الدولة العباسيّة والأندلس: "ازدهرت الترجمة على أيدي السريان في الفترة الواقعة بن عاميّ ٩٠٠-٧٥٠ فقد عكفوا على ترجمة أمّهات الكتب السريانيّة واليونانيّة والفارسيّة إلى العربيّة، وكان على رأس أولئك المترجمين في بيت الحكمة" حنين بن إسحاق " الطبيب النسطوريّ، فقد ترجم إلى اللغة السريانيّة مائة رسالة من رسائل جالينوس، وإلى العربيّة تسعاً وثلاثين رسالة أخرى، وترجم أيضاً كتب المقولات الطبيعيّة والأخلاق الكبرى لأرسطو، وكتاب الجمهوريّة، وكتاب القوانين والسياسة لأفلاطون، فكان المأمون يعطيه ذهباً زنة ما ينقله من الكتب. وقام ابنه اسحق في أعمال الترجمة أيضاً فنقل إلى العربيّة من

كتب أرسطو الميتافيزيقيا والنفس وفي توالد الحيوانات وفسادها، كما نقل إليها شروح الإسكندر الأفروديسي وهو كتاب كان له أثر كبير في الفلسفة الإسلاميّة .وكان قسطا بن لوقا يشرف على الترجمة من اللغات اليونانيّة والسريانيّة إلى العربيّة.

وقد أقام المأمون يوحنا بن البطريق الترجمان أميناً على ترجمةالكتب الفلسفيّة من اليونانيّة والسريانيّة إلى العربيّة، وتولّى كتب أرسطو وأبقراط . ولم يكن الخلفاء وحدهم يهتمّون بالترجمة والنقل إلى العربيّة بل نافسهم الوزراء والأمراء والأغنياء، وأخذوا ينفقون الأموال الطائلة عليها، فيقول ابن الطقطقي :إن البرامكة شجعوا تعريب صحف الأعاجم حتى قيل أن البرامكة كانت تعطي المعرّب زنة الكتاب المعرّب ذهباً. وبالغ الفتح بن خاقان في إنفاق الأموال على الترجمة والتأليف. وكان عبد الملك بن الزيات لا يقل عنه سخاء في هذا المجال ."

بسبب هذا النشاط، ينحو عدد من الباحثين لاعتبار النشاط السرياني وما رافقها من حركات ترجمات، عنصر أساسي من عناصر خلق "الحضارة العربية"،وساهم ذلك، في الوقت نفسه بإحلال العربية كلغة تخاطب بين السريان بدلاً من السريانية، وذلك في العراق على وجه الخصوص، غير أن هذه العملية لن تنتهي قبل القرن الثالث عشر .

# الحياة الاقتصادية فى العهد العباسى

النظام الاقتصادي في الدولة العباسية، كأي نظام قبل الثورة الصناعية هو نظام إقطاعي وقوامه الزراعة. وقد كانت الأراضي الخصبة مقسمة إلى أربع قطاعات: أراضي الدولة التي تعود أرباحها مباشرة للخليفة أو السلطان أو كبار قادة الجيش، وأراضي الأوقاف التي كانت تشكل ممولاً أساسيًا للمساجد والمدارس الفقهية، وأراضي الإقطاعيات الخاصة حيث تكون مملوكة لمتنفذي المدن ووجهائها، مع وجود نوع رابع قليل الانتشار تمثّل في الملكية الخاصة للأفراد .

كان الفلاحون يعملون كعبيد أو أقنان لدى ملاك الأراضي ويستقرون في قرى صغيرة تبنى بالقرب منها، ويقتاتون من حصتهم من غلال الأرض؛ وإذا ما احتاجوا شيءًا كانوا يشترونه من الباعة المتجولين أو أسواق المدن القريبة، فالحياة القروية كانت مستقرة ومزدهرة وكان يعيقها انعدام الأمن خصوصًا خلال عهود ضعف الدولة، إذ تعرضت الإقطاعيات للغزو والتخريب سواءً من دول مجاورة أو من قطاع الطرق. وقد حاولت الدولة خلال عهد القوة السيطرة على الوضع من خلال توجيهات موسى الهادي وهارون الرشيد؛ وخلال فترات انعدام الأمن أخذ سكان القرى بالنزوح نحو المدن ما أثر على الاستقرار الاقتصادي

أما الصناعة، فكانت بجزء منها تعتمد على الزراعة، كصناعة السكر المستخرج من قصب السكر خصوصًا في مصر والأحواز، أو صناعة المواد الغذائية من مشتقات الحليب وتسويقها في المدن، أما الصناعات الغير

معتمدة على الزراعة، فكان هناك الصناعات الحربية كالسيوفأو نسج الحرير والصوف والكتان وأنواع الأقمشة الأخرى وازدهرت بنوع خاص حياكة السجاد في إيران وبلاد الشام وصناعة الزجاجوزخرفته وإنتاجه بأشكال فنية، وصناعة الورق التي انتقلت من الصين إلى بغداد عن طريق سمرقند على يد يحيى البرمكي وفي خلافةهارون الرشيد، والفخاريات والنحاسيات المختلفة، فضلاً عن صناعة السفن.

ويمكن التمييز بين نوعين من المدن، المدن الكبرى كحلب والقاهرة والمدن الأصغر حجمًا وأقل أهمية كطرابلس؛ أما كبرى المدن فكانت بغداد وقد وصل عدد سكانها في القرن التاسع إلى مليون نسمة، لتكون أكبر مدينة في العالم .وكان في المدن الصغرى السوق مختلطًا لجميع أنواع السلع، أما في المدن الكبرى فكان هناك عدة أسواق: كسوق الوراقين وسوق النجارين وسوق الخضار وسواها، ويشرف على كل سوق مجموعة من العمال يشرفون على نظافة السوق، والتأكد من عدم غش التجار بالموازين ويشرفون على الآداب العامة، مع تخصيص أماكن لبيع الخمور وغيرها من منكراتالشريعة الإسلامية .كما نظم عمال الصناعة أنفسهم فيما دعي "الطوائف الصناعية" وهي أشبه بالنقابات في عصرنا الحالي، ومهامها الحفاظ على حقوق العاملين في المهنة، وتشرف على تعليم الراغبين بامتهانها أصول المهنة. ومع تراجع وضع الدولة الاقتصادي ازداد الفقر والفاقة ولم تستطع التكايا المخصصة لرعاية الفقراء من أداء واجباتها كما كانت في

السابق، وتشير الأدبيات العباسية بعد القرن التاسع إلى انتشار الفساد والرشوة حتى في سلك القضاء. من أسباب الانهيار الاقتصادي تكلفة الحروب المتواصلة سواءً بين السلاجقة أنفسهم أو معالصليبيين، وسوى ذلك فقد ضرب القحط والجفاف العراق وبلاد الشام فترة طويلة وزلزلت المنطقة عدة مرات بهزات أرضية، ومحصلة القول فإن ضعف الدولة العباسية كان في أحد شقوقه اقتصاديًا.

مساحة الدولة المترامية الأطراف، وتمركزها في قلب العالم القديم، جعل من أراضيها معبرًا تجاريًا وممرًا لقوافل البضائع بين الشرق الأقصى وأوروبا، ولعلّ طريق الحرير الذي يعود لفترة قبل الميلاد أشهرها وقد اشتهر بتجارة التوابل والعطور، والطريق الجنوبي نحوإفريقيا حيث كان التجار يسوقون بضائعهم مقابل الحصول على الذهب التي اشتهرت به تلك الأصقاع خصوصًا مملكة غانا وقبائل السودانالوثنية، كما نشطت خلال هذا الطريق تجارة الرقيق، وقد ارتبطت الدولة العباسية بعلاقات جيدة مع الممالك المتعاقبة في أثيوبيا حاليًا وأشهرها مملكة النوبة، والتي سمحت للعباسيين التنقيب عن الذهب والزمرد في أراضيها، كما كان هناك طريق تجاري بحري يربط البصرةجنوب العراق بالساحل الإيراني ومنه نحو الهند والصين وكانت الرحلة به تستغرق ستة أشهر.

كانت الدولة تفرض أتاوات على القوافل، ما أمّن لها قطعًا نقديًا ثابتًا للخزينة، غير أنه في زمن الخلافة العباسية في القاهرة، اكتشف البرتغاليون رأس الرجاء الصالح، وتحولت مع الاكتشاف الجديد

طرق التجارة صوب نصف الكرة الجنوبي، ما عنى آنذاك فقدان الدولة موقعها كمتحكم بالطرق التجارية، ما أدى إلى زيادة الوضع الاقتصادي خلال العهد المملوكي تدهورًا. وعمومًا فإن العهد المملوكي لم يتميز قط بازدهار اقتصادي، ويضرب المؤرخون مثالاً على ذلك بأن سكان مصر وبلاد الشام قد انخفض إلى الثلث عما كان الوضع عليه قبل استلام المماليك للسلطة .يعود ذلك بشكل رئيسي للفساد المالي واحتكار الثروة والصراعات بين المماليك أنفسهم، علمًا أن المماليك قد تمتعوا باستقرار سياسي بعد هزيمة المغول عام ١٢٦١ وجلاء الصليبيين عام.١٢٩١

العملة الرسمية هي الدينار، وهو مطبوع من معدني الذهب والفضة، وكان ولاة الأمر يعمدون إلى خلطه بالقليل من النحاس أو البرونز بهدف طباعة كميات أكبر من النقد؛ ونظام الضرائب ممأسس وفقالشريعة الإسلامية من خراج وعشور وزكاة، وفي بعض الأحيان كان السلاطين أو الخلفاء يفرضون ضرائب استثنائية لم تنص عليها الشريعة، ما تسبب باعتراض الفقهاء ومنها المكوس؛ وعمومًا فإن الضرائب الإسلامية كانت في الغالب تجبى سنويًا أما المكوس فتجبى شهريًا. أما إنفاق أموال الدولة فكان وفق رؤية السلاطين أو الخلفاء، فعلى الرغم من أن الشريعة قد نظمت طرق الجباية غير أنها لم تنظم طرق الإنفاق، ما ساهم بارتباط طرق الإنفاق بشخصية الحاكم وحاشيته؛ إذا كان مصلحًا ملتزمًا أنفق المال في خدمة الدولة وتحسين مرافقها أو أهمل الأمر كليًا أو جزئيًا، وقد نقل عن

نفقات قصور الخلافة بأنها كانت تشكل ثلث واردات الدولة في بعض العهود.

إحدى مصادر الدخل كانت الغزوات، فقد اعتاد العباسيون في عهود القوة تسيير غزوة كل صيف نحو التخوم والثغور، ودعيت هذه الغزوات بالصوائف؛ والهدف منها لم يكن توسيع رقعة الدولة بقدر ما كان كسب غنائم وكميات نقد جديدة سواءً عن طرق الصلح بفرض الجزية أو عن طريق الاستيلاء على مقدرات الأماكن المقصودة ونهبها. يمكن ملاحظة ذلك، بأن مساحة الدولة لم تتسع حتى في عهود القوة، كما هو الحال في الدولتين الراشدية والأموية من قبلها والعثمانية من بعدها.

# الحياة الاجتماعية فى العهد العباسى

المجتمع العباسي كان مقسمًا من ناحيتين، الأولى الناحية الدينية حيث يوجد عامة المسلمون ومن ثم الموالي وهم العبيد المعتقين المسلمين، ومن ثم أهل الكتاب وهم عموم رعايا الأديان التي اعترفت بها الشريعة الإسلامية، وأخيرًا الرقيق وهم العبيد والجواري الذين كانوا يباعوا ويشتروا أو يأسروا في عهد الدولة العباسية. أما الناحية الثانية التي صُنف المجتمع خلالها هي الطبقة الاجتماعية على رأسها طبقة الحكام والتي تشمل الخلفاء والأمراء والسلاطين والولاة والوزراء وقادة الجيش، وقد تميزت هذه الحقبة بالثراء والبذخ وتذوق الفنون.

أما الطبقة الثانية هي طبقة علماء الدين والفقهاء، الذين كانوا يشكلون أساس النظام القضائي والفقهي والتعليمي بشكل كبير خلال عهود ضعف الدولة. أما الطبقة الثالثة فهي طبقة التجار، وهم بدورهم يقسمون إلى تجار كبار، وغالبًا ما كانت تجارتهم تقوم على الرقيق أو المجوهرات وغيرهما، ولهؤلاء علاقة وثيقة مع طبقة الحكام؛ والتجار الصغار ويندرج في إطارهم الحرفيين والصناع وأرباب المهن، والذين كانوا العصب الرئيس لحياة المدن. إلى جانب الطبقة الرابعة والتي تشمل الفلاحين الأقنان والعبيد، ويضيف بعض الباحثين طبقة أخرى ممثلة بجند الجيش، إذ كانت مهمة الجندية أشبه بمهمة دائمة آنذاك .

كأي مجتمع أهلي، كانت العائلة تعتبر الركيزة الأساس للمجتمع العباسي. يرأس الأسرة كبيرها، ومن حوله زوجاته وأولاده وفي بعض

الأحيان أحفاده، إذ إن الأولاد غالبًا ما يتزوجون في منازل آبائهم، ويعملون في مهن آبائهم ما أدى إلى تخصص العائلات بمهنٍ معينة. أما المرأة في العصر العباسي، يمكن تمييز دورها في حقبتين، الحقبة الأولى نرى آثارًا عديدة لها في الحياة العامة فاشتهرت عدد من المغنيات والشاعرات والأديبات بل والسياسيات كخيزران وزبيدة زوجتا هارون الرشيد واللتين ساق لهما الباحث محمد خريس دورًا أساسيًا في "جعل عصر الرشيد أزهى عصور العهد العباسي"،ويرى عدد من الباحثين أن انتشار الخلاعة في قصور الخلفاء وأثرياء المجتمع، قد أثر سلبًا على وضع المرأة الاجتماعي خلال تلك الفترة. وفي المرحلة الثانية انكفأت المرأة من جديد نحو المنزل، وأما على صعيد القصر، فقد برزت عدة نساء أيضًا كزوجة المقتدي "شمس النهار"، على ما روى ابن الأثير، وكذلك زوجة طغرل بك والتي "كانت سديدة الرأي فوّضها زوجها أمره في كثير من الأمور فكانت على أحسن تدبير".

الالتزام بالشريعة ومنكراتها، كان متفاوتًا بدوره، فالمجتمع العباسي أساسًا، مجتمع متدين غير أن الحانات ومجالس السمر العامة ومناطق بيع المشروبات الكحولية كان موجودًا خصوصًا في المدن الكبرى، حيث هناك اختلاط بين مسلمين وغير مسلمين، ممن تبيح شرائعهم الخمر وغيره. يقول الباحث والمفكر المصري قاسم أمين في كتابه "تحرير المرأة "أن عادة النقاب قد ظهرت وانتشرت في العصر العباسي، تأثرًا من المسلمين بزرداشتيي فارس، وأنه انحصر انتشارها بين نساء المدن والطبقات العليا وليس بين الفلاحات في الريف؛ كذلك فقد ندد أمين بعزل النساء في "الحرملك "معتبرًا أنها عادة عباسية أيضًا .آراء أمين ومن تبعه

في هذا الرأي تعتبر محمل نقد من الباحثين المسلمين الآخرين الذي يؤكدون أن النقاب قد ظهر منذ عهد النبي محمد، وله ركائز في القرآن والحديث.

كان العلم متاحًا في المساجد والمدارس خلال عهود القوة واحتضنت بغداد عددًا من أشهر جامعات العالم وأقواها، غير أنه خلال عهود الضعف فإن قلة من الناس فقط كانوا يرسلون أولادهم إلى المساجد لتلقن العلوم، وغالبًا ما كان يكتفى بأكبر أبناء الأسرة؛ ولم يكن العلم في المساجد وهو ما يطلق عليه عامة اسم "كتاتيب" يكفي سوى لتحفيظ القرآن وانطلاقًا منه تعلّم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب.

# المصادر والمراجع


- حضارة وادي الفرات، عبد القادر عياش، دار الأهالي، دمشق ١٩٩٦، ص.٢٧٠
- خلافة أبي جعفر المنصور، الموسوعة المسلمة، ٢٢ شباط ٢٠١١.
- المرأة والمشاركة السياسية في الدولة العربية الإسلامية – الصفحة الرابعة، مركز جنين للدراسات، ١٩ نيسان ٢٠١٢.
- تعريف العصر العباسي موضوع، ١٩ نوفمبر ٢٠١٤. وصل لهذا المسار في ٢ يناير ٢٠١٦
- دولة بني العباس حكواتي. وصل لهذا المسار في ٢ يناير ٢٠١٦
- لمحات ثقافية من العصر العباسي الأول مجلة دعوة الحق. وصل لهذا المسار في ٢ يناير ٢٠١٦
- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ابن بطوطة
- البغداديون أخبارهم ومجالسهم - تأليف إبراهيم عبد الغني الدروبي - بغداد ١٩٥٨م – مسجد قمرية خاتون.
- دليل الجوامع والمساجد التراثية والأثرية - ديوان الوقف السني في العراق - جامع قمرية – صفحة ٨٣.
- دليل الجوامع والمساجد التراثية والأثرية - ديوان الوقف السني في العراق - صفحة ٦٠.

- موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، الجزء الثالث: العصر العباسي في العراق والمشرق، تأليف: حسن علي حسن، عبد الرحمن سالم.
- أعلام الشعراء العباسيين / سلمان هادي الطعمة ١٩٨٧
- أعلام الأدب العباسي / محمد رضوان الداية ١٩٨٠
- أضواء على العلاقات الفكرية في العالم الإسلامي: ما بين سقوط الخلافة العباسية وقيام الدولة الصفوية / ميشيل فراوي ٢٠٠٦
- أضواء جديدة على تاريخ الدولة العباسية في عصرها الأول: دراسة وثائقية / عبد المنعم عبد الحميد سلطان ٢٠٠٣
- أشعار الشحاذين في العصر العباسي / أحمد الحسين ١٩٨٦
- إسحاق بن إبراهيم الموصلي: عالم الموسيقى والغناء في العصر العباسي / خلف رشيد نعمان ٢٠٠٦
- أدب الوصايا في العصر العباسي: إلى نهاية القرن الرابع / أحمد أمين مصطفى ١٩٩٠
- أدب النكبة في التراث العربي: أدب نكبات المدن ذات الأسباب الداخلية في المشرق العربي في العصر العباسي / محمد حمدان ٢٠٠٤
- أدب الكدية في العصر العباسي: دراسة في أدب الشحاذين والمتسولين / أحمد الحسين ١٩٩٥
- أدب الزهد في العصر العباسي: نشأته وتطوره وأشهر رجاله / عبد الستار السيد متولي ١٩٨٤

# الفهرس


مقدمة ..... ٥

من هو العباس بن عبد المطلب ؟ ..... ٧

خلفاء الدولة العباسية ..... ١٩

خلفاء الكوفة وبغداد وسامراء ..... ٢١

خلفاء الدولة العباسية فى القاهرة..... ٣٠

الدولة العباسية الأولى ..... ٣٣

العصر الذهبى للدولة العباسية ..... ٥٥

عهد الخليفة المأمون ..... ٨١

العصر العباسى الثانى ٨٤٧ – ٨٦٢ م ..... ٩٣

عهد الفتن والحروب ٨٦٢ – ١٠٥٥ هـ ..... ٩٥

العصر العباسي الثالث: عصر آل سلجوق ..... ١٠٠

خلافة المستعصم بالله ونهاية الدولة ..... ١٠٥

الخلافة العباسية في مصر ..... ١٠٨

دولة العباسيين بعد زوال خلافتهم ..... ١١٤

نظام الحكم بالدولة العباسية ..... ١١٧

الحياة الثقافية فى العصر العباسى ..... ١٢٩

الفن والعمارة ..... ١٣٨
الموسيقى والغناء فى العصر العباسى ..... ١٤٠
العلوم والحياة العلمية فى العصر العباسى ..... ١٤٣
الحياة الاقتصادية فى العهد العباسى ..... ١٤٩
الحياة الاجتماعية فى العهد العباسى ..... ١٥٤
المصادر والمراجع ..... ١٥٧
الفهرس ..... ١٥٩